القدس

في شعر عصر الحروب الصليبية

(تحليل ونقد)

تأليف

الدكتور / **صبرى فوزي عبد الله أبو حسين**
كلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر الشريف
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
محرر سابق في مجمع اللغة العربية

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

رقم الإيداع

١١٤٦٣

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977-383-017-9

ايتـــراك للنشــر والتــوزيع

طريق غرب مطار ألماظة عمارة (١٢) شقة (٢) ص.ب : ٥٦٦٢

هليوبوليس غرب – مصر الجديدة

القاهرة ت : ٤١٧٢٧٤٩ فاكس : ٤١٧٢٧٤٩

مفتتح قرآنی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الحج ٣٨ :٤٠)



إهداء

إلى شهداء فلسطين الأبرار

إلى أبطال الجهاد المقدس الأحرار

لإنقاذ الوطن الإسلامي

وتحرير الأرض المقدسة

إلى المخلصين جميعاً

أهدي هذا العمل . .

د / صبري

تَصْدِير

الأستاذ الدكتور

صابر عبدالدايم يونس

أستاذ الأدب والنقد فى جامعة الأزهر

ووكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق

وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

وعضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد ...

فشعر أي أمة هو نتاج عواطفها ومشاعرها وعقولها ، وعصارة مزاجها النفسي ، وطابع روحها الوجداني ، وخلاصة مجهودها العقلي . وهو يرتبط بها أرضاً وسماءً ، وقيماً وتقاليد ، وأحداثاً ومجتمعاً .

والشعر لدى أمتنا ديوان أيامها ، وسجل أخبارها . وقد رفده الإسلام بقيم جليلة وآليات جميلة ، مخرجاً له من كونه أداة تسلية ، أو وسيلة طرب ، أو طريقاً لتحقيق مآرب ، جاعلاً مبدعيه فرساناً كماةً حماةً فى ميدان المواجهة مع الآخر المعتدى . إنهم أولئك الذين قال الله عنهم : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء :٢٢٧) .

والشعر الإسلامي يعيش دائماً منتصراً للحق المظلوم ، أما الباطل المهزوم مقاتلاً باللسان والحرف ، فى الوقت الذي يقاتل فيه غيره بالسنان والسيف ، حتى يعلو الحق وينتصر العدل وتكون عاقبة الظلم إلى خسران وزوال .

وقد ظهر هذا الدور للشعر الإسلامي جلياً إبان عصر الأيوبيين ، فجاء دموعاً وشموعاً ، ورجوماً ونجوماً ، وآلاماً وآمالاً ، مصوراً معركتنا الكبرى مع الصليبيين ، تلك التي كانت الكلمة فيها سلاحاً ، وكان الحق درعاً ، وكان الإيمان حصناً .

وهذا ما يحاول المؤلف الدكتور/ صبري أبو حسين تقديمه وتقريره في كتابه هذا ، من خلال استنطاق النص الشعري وقتئذ ، للدلالة على حال القدس الشريف – مكاناً وإنساناً – أثناء الاحتلال الصليبي الغاشم لها ، وقبل التحرير الإسلامي الحضاري لها وبعده ، مفسراً أسباب سقوطها ، وموضحاً عوامل تحريرها ، ومقدماً أسباب إقدام وتفاؤل من شأنها أن تبث روح الأمل في نفوس أبناء أمتنا في هذا الواقع الدامي الحزين الذي نعيشه .

إن فى هذا الكتاب جهداً طيباً مخلصاً ، وتصويراً فنياً محلقاً لماضينا ، وتوقاً لأن يتواصل عالمنا المعاصر معه ، فتخفف من الرؤى المفزعة التى تحاصرنا ، ومن إحباطاتنا المروعة ، وهزائمنا المتكررة التى تسد علينا الأفق ، فى هذا الحاضر الدامع والحالك .

وقد زين المؤلف كتابه بملحق يضم جملة من الوثائق الأدبية التى تعطى القارئ تعريفاً أولياً ورصداً سريعاً ، وتغرس فيه انطباعاً شعورياً لامحاً عن حال القدس : فتحاً ، واحتلالاً ، وتحريراً ، بلسان الأسلاف الأماجد : مؤرخين وأدباء.

ومن ثم كانت مطالعة هذا الكتاب مهمة لما فيه من قيمة تدفع كل مخلص إلى معايشته بقلبه وعقله حتى ينال زاداً طيباً ، فنكون جميعاً إيجابيين فى مواجهة حاضرنا الملئ بالتحديات والمؤامرات .

نرجو الله أن ينفع به صاحبه ، وأن يجعله فى ميزان حسناته .

الأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم

* * *





معايشة التراث وفقه التاريخ
أساس حياة الأمة الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتمهم أجمعين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فنحن أمة اجتباها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس ، أمة وسطًا ، شهيدة على الناس ، أمة الحق ، أمة الإسلام : الدين الخاتم ، والصبغة الإلهية الثابتة ، والرباط الأوحد والأعظم بين الإنسان وخالقه ﷻ . ذلك حكم الله وتقديره . ولكن حزب الشيطان يتمردون على ذلك ، ويتداعون علينا للنيل من حقنا كفرًا وحسدًا وحقدًا ، منذ بداية البعثة المحمدية حتى هذا الأوان . ومن ثم نشأ صراع طويل بين حقنا وباطلهم : حقنا الإلهي الذي استضاء بالإسلام ، وباطلهم الإبليسي الذي ران على قلوبهم حقبًا مديدة . فكان الإسلام – وما زال وسيظل بمشيئة الله تعالى – يجاهد في أن يواجه هذا الباطل بالحكمة والموعظة الحسنة هداية لأهله ثم بالجهاد ، دفاعًا عن نهجه وحماية لدعوته ، ودعاته ، ودائما ما يكتب النصر والتوفيق لحزب الله والحق.

قال الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة : ٣٢ - ٣٣].

قال رسول الله ﷺ : **" لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ – أي الإسلام – مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ " [حديث حسن].**

وصدق الله ورسوله فإن الإسلام سيبقى ما بقيت الحياة ، وما بقيت الشمس تطلع وتغرب ، لإنه يتجدد ولا يتبدد ، قد تمرض أمته ، ولكنها لا تموت ، وعندما يظن أعداؤها أن جثتها أوشكت أن تدفن بدأ فجر جديد لها يحير الأعداء ويجعلهم ينسحبون من حيث أقدموا ، ويتقهقرون من حيث تقدموا.

ذلك ما تقرره مسيرة تاريخ الإسلام في مواجهته للباطل ، لكل فقيه مخلص قرأ تاريخنا المجيد قراءة واعٍ مستبصرٍ مفسرٍ لأحداثه ومتعظ منها.

* * *

والقدس أرض شاءت إرادة الله – تعالى– أن يكون عليها وحولها الصراع الأساسي بين الحق والباطل ، لأنها أرض مباركة ، أرض المحشر والمنشر ، مهد الأنبياء ، سار عليها المرسلون زارعين شجرة التوحيد ، وناشرين فيها وفي أكنافها منهج الله ، ولكن كثيراً من البشر انحرفوا عن اتباع هذا المنهج ، فكانت بعثة محمد ورسالته الخاتمة ، فعرفه أهل الملل السماوية السابقة معرفتهم أبناءهم وأيقنوا بصدقه ، ولكنهم – ظلماً لأنفسهم وخسراناً – حاربوه وعاندوه وحملوا في قلوبهم البغض والحسد له ﷺ ولأمته – أعزها الله – غرورا بأوهام الشيطان وحقدا من عند أنفسهم ...

وظهر هذا الصراع بين الحق الإسلامي والباطل الشيطاني على أشده في القدس ، التي احتلت مكانة سامقة عند المسلمين منذ باركها الله تعالى بقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء :١].

ومنذ كرمها الرسول ﷺ بقوله: " **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى**



يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّه وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ : بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ " [رواه الإمام أحمد في مسنده]

وعظم مسجدها بقوله : " لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الأَقْصَى " [متفق عليه]...

ومن ثم فتحت القدس إسلاميًا على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ في سنة ١٥ هـ الموافقة لسنة ٦٣٦ م. وكان فتحًا حضاريًا إنسانيًا ساميًا ، نقيًا من كل مظاهر الجاهلية ، وسيما الهمجية البربرية ، صورته خير تصوير أوامر العهدة العمرية وتوجيهاتها وسلوكيات الفاتحين المسلمين فيه، حيث الإخاء والتسامح والمسالمة ، والعدل والرحمة والرفق والحوار الهادئ مع جميع من بالقدس على اختلاف أديانهم وأجناسهم ...

* * *

وظل حال القدس كذلك إلى أن استولى عليها الصليبيون [١٠٩٩- ١١٧٨م = ٤٩٢ - ٥٧٣ هـ] إذ عاثوا فيها فسادًا ، فقتلوا بها كل مسلم بقى حيًا ، واستمر الإعدام الصليبي لكل ما هو إسلامي أسبوعًا كاملاً ، ووصل عدد القتلى المسلمين سبعين ألفًا أو يزيد ، ولم يغمد الصليبيون سيوفهم إلا بعد أن خمدت نار الانتقام المتأججة في قلوبهم ، وذلك باعتراف المؤرخين النصارى أنفسهم ، والحق ما شهدت به الأعداء !!!

ودام هذا الحال السيئ للقدس وأهلها خلال الاستخراب الصليبي ، إلى أن ظهر الأيوبيون في ساحة العالم الإسلامي السياسية ، فكانوا الأمل الحقيقي لدى كل مسلم مخلص في تحرير القدس وإنقاذ أهلها ، وذلك ما تم على يد البطل المقدام صلاح الدين الأيوبي ﷺ في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة

٥٨٣ هـ ، الموافق للثاني من شهر أكتوبر سنة ١١٨٧م ، ويومئذ فرح المسلمون بنصر الله العزيز الحكيم ، بعد نحو تسعين عامًا من الحقد الصليبي عاشها القدس وأهلوها.

وهذا الكتاب : " **القدس في شعر عصر الحروب الصليبية : تحليل ونقد** " يحاول استنطاق شعر هذا العصر ، وبيان مدى تصويره لحال القدس إبان الاستدمار الصليبي وأثناء التحرير الأيوبي الإسلامي لها ، مفسراً أسباب سقوطها ، وعوامل تحريرها ، وذلك ليتضح لكل ذي عينين أن الشعر – فن العربية الأول – لم يكن ملهاة ذاتية ، أو مسلاة اجتماعية ، بل كان خير شاعر بآلام القدس وآمالها ، وفرحة المسلمين بإنقاذها.

وهو خير فن يستطيع القيام بهذا الدور ؛ لأنه ضمير الأمة ، ونبض قلبها ، وروح شعبها ، وصوتها المدوي في الأرجاء ، مشيعًا أفراحها وشاعرًا بأتراحها وممجدًا للبطولة والأبطال ، ومسجلاً لمواقف الشرف والإباء ، ومعبرًا عن الأمل المترجي ، وقائمًا بالمشاركة الوجدانية حين تعز المشاركة الفعلية ، وموجها خطابًا مرًا لاذعًا للمخلفين القاعدين ، اللاهين بخصوصياتهم ، وللمرجفين في طريق النصر ، الذين يسارعون في الصف الإسلامي قائلين : نخشى أن تصيبنا دائرة ، وغيرهم ممن أصابهم الوهن : حب الدنيا وكراهية الموت.

وهذا مناط عظمة الشعر عند العرب ، ومرجع جعلهم إياه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد صوابهم وخطئهم ، وسجل مفاخرهم وأيامهم ، وحصن مناقبهم ومآثرهم ، ومن ثم كان للشاعر دور فعّال في المواجهات الحربية ، فهو الذي يندب عن قومه بلسانه ، ويبعث فيهم روح التضحية والإقدام ، وينفث في روع الجبان فيحيله شجاعًا مقدامًا ، ويعرض بخصومهم ، هاجيًا ساداتهم ، ومشيعًا الرعب فيهم ، ومهونًا من عددهم وعتادهم ، فيحدث أثرًا دائمًا في النفوس ، يبقى محفوظًا في الذاكرة ، محفورًا في الأذهان ، مترددًا على كل

لسان ، يرويه الخلف عن السلف ؛ لما يحويه من عناصر فنية تأسر الألباب وتستهوى الأفئدة ، وتشنف الآذان ، منها صدق العاطفة ، وجمال التصوير ، وحسن الإيقاع ، وعمق المضمون ، وغير ذلك مما يجعل في القلب سحرًا، وفي النفس أثرًا ، وهذا ما قرره نقده الأدب عن شعرنا العربى قديمًا وحديثًا .

ويتضح الدور الفعال للشعر بجلاء إبان عصر الحروب الصليبية ، في معايشته لمأساة القدس – زمانئذ – محتلة ومحررة.

وهذا الكتاب يدلل من ديوان الشعر العربي على تحقق هذا الدور الفعال ، وذلك من خلال تمهيد ، وأربعة مباحث ، وملحق ، وفهرسين.

- **أما التمهيد** ... فجاء تتبعًا موجزًا لمسيرة القدس جغرافيًا وتاريخيًا وإسلاميًا.
- **وأما المبحث الأول** ... ففيه عرض لتصوير الشعراء لمآسي الحقد الصليبي في القدس في المكان والإنسان .
- **وأما المبحث الثاني** ... ففيه بيان لكيفية حث الشعراء قادة المسلمين على تحرير القدس وإنقاذها من براثن الصليبيين.
- **وأما المبحث الثالث** ... ففيه إظهار لتصوير الشعراء لاستعادة القدس وتحرير أهلها إسلاميًا على يد الأيوبيين ، بقيادة الناصر صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ ، وكذلك تعديد لمظاهر بهجة المسلمين وفرحتهم بهذا الانتصار التاريخي الخالد.
- **وأما المبحث الرابع** ... ففيه تقييم نقدي لشعر القدس إبانئذ.
- **وأما الملحق** ... فهو مسجل وثائقي يحتوى على مجموعة من النصوص الأدبية المميزة في تسجيل حال القدس أثناء الاحتلال الصليبي ، والتحرير الأيوبي.
- **وأما الفهرسان** ... فخاصان بأهم مصادر البحث ومراجعهن وأبرز أفكاره وموضوعاته .

هذا ... وإنما قصرت البحث في قضية القدس على إرثنا الشعري ، لأن التراث هو رصيدنا الباقي ، وذخيرتنا الخالدة ومدخرنا المعبر عما كانت عليه أمتنا في كل المجالات الحضارية . والأمم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها ، وفي ماضيها منابع ازدهارها الحالي والآني ، والآتي بإذن الله تعالى .

ويعد الشعر الجزء الخالد الذي ينبض بالحياة والحيوية من أجزاء هذا التراث ، إذ يضع تحت أبصارنا أحاديث الأسلاف عن أفكارهم ومشاعرهم ، وما أصابوا من حكمة وخبرة ، وفي ذلك زاد طيب لنا في حاضرنا ومستقبلنا لمواجهة الوضع المزري للقدس : فردوسنا الذي يقف في مهب الريح ، في مواجهة خطر داهم وكابوس جاثم ، في أسر عدو بيت أمره ، وحدد هدفه ، وأحكم خطته لابتلاع الأرض وتهويدها ، وسلخها من جلدها العربي الإسلامي ، وقد جاهر بنواياه متحديًا متصديًا متعديًا ، يرتكب المآسي ، ويقترف المخازي ، ويلوث المقدسات ، ويفعل الأفاعيل ولا يواجهه إلا شعب مستضعف أعزل ، محارب بألوان من الخيانة من قبل المفسدين والمرجفين حيث الضيق ، والتعتيم ، والعجز ، والفقر ، والفرقة ، والغدر ، والخديعة ، والتجسس ، والولاء ، لغير الله ورسوله ، بل للعدو المغتصب !!!

وهذا الوضع يستدعي منا أن نعود القهقري إلى تاريخ طويل مضى وغارت جذوره في الأرض ، لنحسن العمل في حاضرنا ، والاستعداد لمستقبلنا ، في مواجهتنا لليهود الذين اغتصبوا قدسنا مستصحبين ذكريات مضت ، ونابشين التاريخ عن رفات توارى طويلا في الثرى.

إننا مأمورون جميعًا بقراءة التراث والتاريخ قراءة مستبصرة متدبرة ، تمكننا من فهم الحاضر واستشراف المستقبل في مآسينا الدامية ، حتى نستطيع التعامل معها تعاملاً إسلاميًا صحيحًا ، فليس التراث والتاريخ ماضيًا انتهى ، بل إن الماضي ينسكب في الحاضر ، ويكاد الحاضر يذوب بين معبري الماضي والمستقبل ، والوعي بتراثنا وتاريخنا هو الطريق لاستئناف الأمة الإسلامية لدورها القيادى للعالم إلى الحق والخير والجمال والهداية الإلهية.

وصدق الله تعالى ، إذ يقول ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس : ١٠١-١٠٣] . وإذ يقول ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

[آل عمران : ١٣٧].

فالاعتبار بأحداث الماضي ، والاتعاظ بمصائر أممه ، وبسنن الله فيهم ، هو وعاء الأحداث ومخزن العبر . وما أحوج المسلمين اليوم وغدًا إلى رجوعهم إلى إيمانهم بأنفسهم وثقتهم بماضيهم ورجائهم في مستقبلهم ، ومن ثم يقبلون على الاهتمام بحاضرهم وإعداد العدة لقادم أيامهم ؛ تنفيذًا لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨]....

إن جهدي في هذا الموضوع الحي يحاول لفت كل قارئ مخلص إلى هذا الماضي الخالد للقدس الشريف ، ويعمل على بث روح الأمل في النفوس المسلمة

لمواجهة ذلك اليأس الجاسم ، عن طريق الفكر الثاقب ، والعلم المخلص ، والإقدام الطموح ، ومن خلال تدبر الماضي المليء بكل أسباب الفخر الصادق المؤثر في الجميع إيجابيًا :

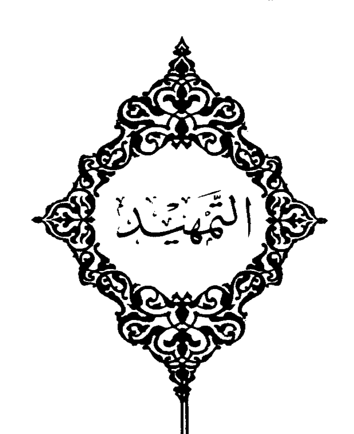
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

ولرب نازلة يضيق بها الفتى	ذرعًا وعند الله فيها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها	فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

المؤلف





القدس في ظلال التاريخ وحضارة الإسلام

مدخل تاريخي :

لا يوجد شاغل يسيطر على قلوب أهل الإسلام وعقولهم اليوم وأمس وغدًا ، يمكن أن يوازي جرح القدس الدامي ، ذلك الجرح الذي يتضاعف خطره كل صباح ومساء بما نسمع عنه ونشاهد من دنس وظلم وعدوان فيها ، ومن خطر يحيق بالأرض والعرض والمقدسات ، دونما نجدة أو إنقاذ أو إغاثة ، اللهم إلا محاولات فردية شعبية مجيدة.

إن للقدس في ضمير كل مسلم أثراً طيباً ومكاناً سامقاً ، يجعلنا في إحساس متضاعف بالألم نتيجة القهر والعجز الذي وصلنا إليه تجاه ما يحدث بالقدس ، من خرافات وأباطيل وانتهاكات صارخة لما فيها تاريخيًا وواقعيًا ، فالتاريخ يقرر أحقيتنا في القدس وما حولها ، ويؤكد زيف ادعاءات اليهود وأذيالهم.

لقد عُرفت فلسطين منذ القدم بأرض كنعان ، كما سميت القدس باسم " يبوس " . والكنعانيون واليبوسيون عرب أقاموا في هذه المنطقة قبل غيرهم وأسسوا فيها حضارة زاهرة ، ومن ثم فهم يعدون سكانها الأصلاء ، إذ لم يغادروها في يوم من الأيام ، رغم ما تعرضوا له من قتل واضطهاد وتشريد في أزمنة مختلفة من التاريخ.

هذا عالم غربي في علم الأجناس يدعى " جيمس فريزر" يقرر أن الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم من ذريات القبائل التي استوطنتها قبل الغزوة الإسرائيلية ، وأنهم ما زالوا متصلين بالأرض لم ينفكوا عنها، ولم يقتلعوا منها ، وإن طغت عليهم الفتوح موجات ، فإنهم ثبتوا وأقاموا " [١].

---

(١) ينظر في تفصيل ذلك : تاريخ مدينة القدس للأستاذ رفيق النتشة طبعة عمان سنة ١٩٨٤م . وتاريخ القدس العربي القديم للأستاذ خالد عبد الرحمن العك ، طبعة دمشق سنة ١٩٦١م . والمفصل في تاريخ =

كما تؤكد المصـادر التاريخية التـي تناولـت تـاريخ هـذه المدينـة العريقـة أن العرب من الكنعانيين واليبوسيين هم الذين خططوا وأقاموا بناءها ، وتشير تلك المصادر إلى أن هناك آثاراً لقبائل العموريين والكنعانيين واليبوسيين قبل ثلاثة آلاف سنة من قدوم العبرانيين إليها [1] .

والكنعانيون إحدى القبائل العربية التي خرجت إلى بلاد الشام من شبه الجزيرة خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد سميت فلسطين بأرض كنعان نسبة إليهم ، ومن الكنعانيين تحدر اليبوسيون الذين بنوا مدينة القدس وغيرها من المدن الكثيرة المحصنة.

و" أورسالم " أول الأسماء لمدينة القدس . وقد ورد في النصوص المصرية القديمة المعروفة باسم " **نصوص تل العمارنة** " التي ترجع إلى ق١٩ قبل الميلاد ويتألف الاسم من قطعتين " أور " بمعنى أسس و" سالم أو شالم " اسم إله سامي قديم ، فيكون معناها إذن " أسسها سالم " وقد بنيت أول مرة في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، وظلت حدودها تتغير تبعا لتغير هدفها وإعادة بنائها حتي استقرت على ما هو عليه الآن . وقد تعرضت أرض كنعان " القدس " للغزو اليهودي في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وقد تم فتحها على يد الملك داود عام ٩٩٧ أو ١٠٠٠ ق.م. بعد حرب بين اليبوسيين والعبريين استمرت حوالي ٢٥٠ عامًا ، دون أن يتمكن اليهود من إحكام قبضتهم على الأرض

= القدس للأستاذ عارف العارف ط١ سنة ١٩٦٩م . ومكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين للأستاذ كامل العسيلي طبعة عمان سنة ١٩٨٨م. وغير ذلك من المصادر الكثيرة في هذا الصدد.

(١) ينظر المصادر السابقة . إضافة إلي مقال الدكتور/ زيد بن عبد المحسن الحسين بعنوان " القدس في عمق التاريخ . في مجلة الفيصل . عدد ٢٣٢، شوال ١٤١٦هـ.

الفلسطينية كلها ، ثم فتحها الملك الفارسي نبوخذ نصر في ٥٨٦ ق.م ، ودمرها ونقل السكان اليهود إلى بابل ، ثم فتحها الإسكندر المقدوني في سنة ٣٣٢ ق.م وتأرجحت السيطرة على أورشليم في عهد خلفائه البطالمة والسلوقيين ، إلى أن دخل الرومان على سورية وفلسطين ، ودخل القائد الروماني بوبي أورشليم في سنة ٦٣ ق. م ، وفي عهد الإمبراطور نيرون بدأت ثورة اليهود على الرومان ، فقام قادة الرومان باحتلال أورشليم وحرق الهيكل والفتك باليهود ، ثم تخريب أورشليم وتأسيس مدينة مكانها تسمى " إيليا كابيتولونيا " وحرم على اليهود دخولها [١] .

جغرافية القدس :

أكسب العرب الكنعانيون القدس – إنشائهم لها وإقامتهم فيها – شخصيتها العربية التي ثبتت على مر العصور ، رغم ما تعرضت له من تقلبات كثيرة ، قَلَّ أن تعرضت لها مدينة غيرها ، وذلك لما تتسم به من موقع ممتاز وخصائص جغرافية جعلتها مركزًا للجذب والاستقرار.

تقع القدس في منتصف القلب من فلسطين ، مع ميل واضح باتجاه الشرق ، على جبل تتراوح ارتفاعاته بين ٢٧٠ و٢٨٠ مترًا عن سطح البحر الأحمر ، وتحيط بها عدة أودية ، وأسهل جهة للعبور منها إلى القدس هي الجهة الشمالية الغربية ، التي دخل منها الفاتحون لها .

ومحيط القدس صخري قاحل ، لا سهل فيه ولا بحيرة ولا ينابيع يعتمد أهلها على مياه الآبار والعيون التي تستمد من مياه الأمطار ، وتجلب لهم مياه من

---

(١) راجع المصادر السابقة.

منطقة " العروب " التي بين الخليل والقدس . وجو مدينة القدس معتدل صيفًا بارد شتاء ، وأمطارها متوسطة .

والقدس قسمان : المدينة القديمة ، وتشبه شبه المنحرف في شكلها ، وهي محاطة بسور قديم يبلغ طوله أربعة كيلومترات تقريبًا ، وقد بناه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤٢م .

أما القدس الجديدة فتقع خارج السور ، وهي أكبر من المدينة القديمة مساحة وأكثر سكانًا ، وشوارعها فسيحة ومبانيها حديثة ، وبها الحدائق والمنتزهات ، وهي مستمرة في التوسع والامتداد ، وتتمتع بموقع متوسط بين كبرى المدن الفلسطينية والعواصم العربية المجاورة ، فهى أشبه بواسطة العقد [١].

القدس في ظلال الإسلام:

تبوأت القدس في ظلال الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية مكانة سامقة ، فقد ذكرت مرات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف ، وازدادت بعد الفتح الإسلامي شرفًا ورفعةً ، لأنها تمثل في حس المسلمين ووعيهم القبلة الأولى ، وأرض الإسراء والمعراج ، وثالث المدن المعظمة ، وأرض النبوات والبركات ، وأرض الرباط والجهاد [٢] .

---

(١) راجع في ذلك : جغرافية فلسطين للأستاذ خليل طوطح والأستاذ / حبيب فوزي ، طبع القدس سنة ١٩٢٣م. نقلا عن عدد مجلة الفيصل السابقة .

(٢) ينظر في بيان ذلك : فضائل القدس لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق دكتور/ جبرائيل حيدر ، دار الآفاق الجديدة بيروت سنة ١٩٨٠م . القدس قضية كل مسلم للدكتور يوسف القرضاوي ، طبع مكتبة وهبة بالقاهرة . ومكانة القدس في الإسلام للشيخ عبد الحميد السايح ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٩م والطريق إلى بيت المقدس ، ط١، للدكتور جمال عبدالهادي طبع دار الوفاء للطباعة والنشر ، =

وقد تم الفتح الإسلامي للمدينة في يوم الخميس ٢٠من ربيع الأول سنة ١٥هـ ، والموافق لليوم الثاني من شهر مايو سنة ٦٣٦ م بعد المعاهدة العمرية التي تعد أقدم ميثاق دولي رفيع يدعو إلى احترام الشعائر الدينية وصيانة الأماكن المقدسة ، ولم يكن لليهود أي وجود أو أي حق سواء أكان تاريخيًا أم مدنيًا أم سياسيًا ، ومع هذا فقد احتاط أهل بيت المقدس من المسيحيين للحاضر والمستقبل وطلبوا ألا يسمح ليهودي بالسكن في إيلياء ، وكان لهم ما اشترطوا ، ولم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين على الإقامة في القدس ، ثم شيد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الحرم القدسي الشريف ، ويتألف من مسجد الصخرة والمسجد الأقصى المبارك ، ويغطي سقف مسجد الصخرة قبة واسعة كان عبد الملك قد أمر ببنائها سنة ٧٢هـ ، وتعد أقدم معلم من معالم العمارة الإسلامية في القدس.

وما زال الخلفاء يهتمون بالقدس وأهلها عامًا بعد عام ، إلى أن تفرقت كلمة المسلمين فضعفوا وقويت شوكة أعدائهم فاحتل الصليبيون القدس (سنة ٤٩٢هـ - ١٠٩٩م.) وارتكبوا مذبحة رهيبة في منطقة الحرم الشريف ، حيث بلغ عدد ضحاياهم سبعين ألفاً أو يزيدون ، ونهب الصليبيون ما كان في الصخرة والأقصى من كنوز ، ووضعوا صليبًا على قبة الصخرة ، وحولوا الأقصى إلى مقر لفرسان الداوية ، وجعلوا القدس عاصمة لمملكتهم اللاتينية . ولم يبق حكم الصليبيين في القدس أكثر من ٨٨سنة . وبعد هزيمتهم في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧م . على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، أزال صلاح الدين

= سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤ وكذلك " دور الأزهر في الدفاع عن القدس " هدية مجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٤٢١هـ...الخ.



الصليب عن قبة الصخرة ، ووضع فيها المصاحف ، وعين لها الأئمة ، وشيد إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس ومستشفى كبيرًا وسورًا للمدينة ، وعامل أهل القدس معاملة كريمة طيبة وسامية ، ولم يعاملهم بالمثل ويفتك بهم كما فعلوا بالمسلمين ، وقد اعترف أغلب المؤرخين الغربيين بتسامح ذلك البطل العظيم وحسن معاملته للمهزوم وكرمه مع الأسرى [1] ثم أصبحت فلسطين بعد ذلك خاضعة لحكم المماليك سنة ٥٦١هـ - ١٢٥٣م . ثم لحكم العثمانيين سنة ٩٢٢هـ – ١٥١٦م.

وفي التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩١٧م. دخلت القوات البريطانية مدينة القدس بقيادة القائد اللنبي ، ثم كان وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا في ١٩١٧/١١/٢م ، الذي ينص على التعهد بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وقد تم تنفيذ هذا الوعد في ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨ م ، إذ أعلن زعماء الصهاينة قيام ما يسمى دولة إسرائيل المفتراة تاريخيًا وسياسيًا ، إذ أخذ شعب لا أرض له أرضاً لها شعب ...إلخ .

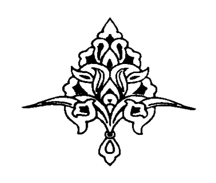
وخلال هذا التاريخ الممتد منذ الفتح الإسلامي حتى الآن ما زلنا نقدر القدس حق قدرها ، وما زال أهلها يجاهدون ضد كل محاولة تتغيا النيل من المقدسات الإسلامية ، وبخاصة محاولات اليهود الخبيثة هذه الأيام .

---

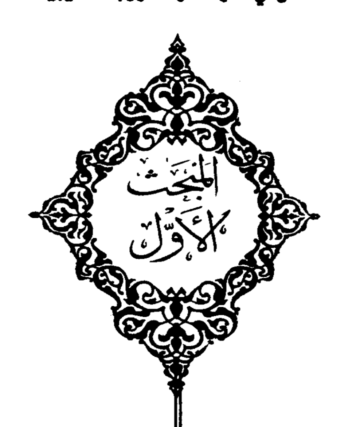
(١) راجع في ذلك : تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ ٤٢٧، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد . طبع الحلبي سنة ١٩٥٩م. وكذلك : دائرة المعارف البريطانية في مدخل " crusade" طبع سنة ١٩١١م. وكذلك : مقال الدكتور / محمود حمدي زقزوق " المسجد الأقصى في الكتاب والسنة " في مجلة منبر الإسلام عدد شوال سنة ١٤٢١هـ . وكذلك : بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ ص ٢٣ وما بعدها . د./ عبدالفتاح أبو علية . د./ عبدالحليم عويس . طبع دار المريخ ١٩٨١م.

حفظ الله قدسنا وحماها من كيد الكائدين وتفريط العاصين ، وخيانة المنافقين وكسل وهوان أهلها ، اللهم آمين .

ولعل في التعرف على تصوير الشعر لحال القدس إبان الحروب الصليبية احتلالاً وتحريراً ، وما يعطينا زاداً روحياً ، ومددًا معنويًا وعقليًا ، ودرسًا عمليًا لما ينبغي أن يكون عليه حالنا – نحن المسلمين – تجاهها في هذه الأيام العصيبة.







تصوير الشعر
لمآسي الحقد الصليبي في القدس

منذ بزغ الإسلام بنوره ، والصراع دائر بين الحق والباطل : الحق الذي جاء به الدين الحنيف ، والباطل الذي ران على قلوب البشر حقبًا طويلة ، فأخذ الإسلام يجاهد في أن يمحقه ، وأن يقتلع بذور الشر من النفوس ، ويطهر منه القلوب ، وسار الشعراء في ركب الدعوة الإسلامية المباركة ، يحضون الناس على اتباع ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وإجماع صحابته وتابعيه رضوان الله عليهم أجمعين...

ويسير الزمن ، وينقضي القرن الأول الهجري ، وتزداد الفتن التي هبت من كل صوب ، ويزداد أعداء الإسلام كيدًا له ، فهب المسلمون من كل فج يدافعون عن سورة الإسلام ، ويحاربون هؤلاء الأعداء ، ويردون كيدهم في نحورهم ، بسنانهم ولسانهم .

وقد تجلى الجهاد اللساني في ذلك الشعر الذي نظمه شعراء الإسلام حضاً على الجهاد وإشادة بالفتوحات ، وتأييداً للمجاهدين الذي يكافحون ذودًا عن دينهم وديارهم ، وحبًا في الشهادة في سبيل الله ﷻ.

وبذلك كان الشعر خير دريئة للدين الإسلامي وأهله من كل الغارات والاضطرابات التي كان يحدثها أعداؤنا أعداء الدين ، في كل عصر ومصر ، فلكل " شاعر رسالة ينطوي عليها ، يشعر بها في داخله ، كأنها سبب وجوده ، ويعيها في إبداعه ، كأنها العلة الأولى التي يصدر عنها هذا الإبداع ، وبقدر ما يؤمن الشاعر بهذه الرسالة – إيمانه بجدوى الحياة – يبشر بها كأنها دين جديد ، يحمل الهداية لمن حوله ، ويلوح بالخلاص لمن يلوذ به " (١) .

(١) استعادة الماضي . دراسات في شعر النهضة صـ ٣١. د/ جابر عصفور . طبع الهيئة المصرية العامة سنة ٢٠٠١م.

وقد ظهرت هذه الرسالة جلية في أواخر القرن الخامس الهجري ، حين شن أمراء غرب أوروبا – بزعامة البابا في روما – الحرب على دول الشرق المسلمة سنة ٤٩٠ هـ ، تدفعهم إلى ذلك عوامل أقواها حقد النصارى على الإسلام والمسلمين [١] ، وقد انتهى أمر الحملة الأولى بهزيمة منكرة على يد السلاجقة ، ثم تفكك المسلمون ، فانتصر الصليبيون ، وكونوا إمارات صليبية هي : " الرها " و" أنطاكية " و" طرابلس " ، ثم " بيت المقدس " [٢] .

ولم يكن الشعر بمعزل عن ذلك ، وما ينبغي له ، بل تأثر بهذه الأحداث التي ألمت ببيت المقدس وأهله ، فسجل آثارها ، ودعا المسلمين حكامًا ومحكومين إلى الجهاد من أجل تحرير القدس واسترجاعها ، ذلك لأن الارتباط بين القدس والشعر العربي قديم متجذر الأصول ، فقد أورد ياقوت الحموي قول الشاعر القديم عن القدس :

اهيم بقاع القدس ما هبت الصبا	**فتلك ربوع الأنس في زمن الصبا**
ومازالت في شوقي إليها مواصلا	**سلامي على تلك المعاهد والربا [٣]**

فمفردات البيتين وتراكيبهما ناطقة بمدى حب هذا الشاعر للقدس ، فهو يولع حبا وشغفا بالقدس ، وولوعه ليس محددًا بوقت ، بل إن هيامه وشوقه إليها مستمرّ متواصل ، وهو لذلك يرجو لها سلامًا ثابتًا مستقرًا ، لأنها موطن أنسه ، ومهد خيره وسعادته ، وزمن هذه المشاعر الصادقة هو الحال المستمر الدائم.

---

(١) ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة ص ٥٥ وما بعدها ، د/ عبد الحليم عويس ، طبع دار الصحوة سنة ١٩٨٤م.

(٢) الطريق إلي بيت المقدس ١/ ٦٠ ، وما بعدها ، د/ جمال عبد الهادي . طبع دار الوفاء سنة ١٩٩٤م.

(٣) معجم البلدان ١/ ١٧١.

طمع الصليبيين في القدس قبل عصور الحروب الصليبية:

وهذه العلاقة الطيبة ظلت مستقرة ، على الرغم من أن القدس دائما كانت مطمع الأحقاد الصليبية بعد فتحها إسلاميا في سنة ١٥هـ.

وخير دليل من الشعر التسجيلي على هذه الأحقاد والأطماع الصليبية ما ذكره ابن كثير الدمشقي (ت. ٧٧٤هـ) في ترجمته للنقفور ملك الأرمن في حوادث سنة ٣٥٢ هـ من رسالة تهديد موجهة من هذا الملك إلى الخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ) [1] وقد نظمها بعض الكتاب للنقفور ممن كان قد خذله الله وأذله ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، وصرفه عن الإسلام وأصله ، يفتخر فيها بهذا اللعين ، ويتعرض لسب المسلمين والإسلام وتوعد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى القدس والحرمين الشريفين فكان مما جاء خاصًا بالقدس من هذه الرسالة الشعرية ، على لسان هذا النقفور:

أعود إلى القدس التي شرفت بها	بعز مكين ثابت الأصل قائم
واعلو سريري للسجود معظماً	لكل نقى الدين أغلف زاعم
نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم	واعلنتمو بالمنكرات العظائم
سأفتح أرض الله شرقًا ومغربا	وانشر دينا للصليب بصارمي
فعيسى علا فوق السموات عرشه	يفوز الذي والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى	فصار رفاتا بين تلك الرمائم [2]

---

(١) راجعه وترجمه المطيع لله في" تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣١٤، والمنجد في اللغة العربية والأعلام قسم الأعلام ص ٦٦٩ وترجمة النقفور في البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٣/١١ وما بعدها . والمنجد قسم الأعلام ص ٧١٣.

(٢) البداية والنهاية ١١ : ٢٤٦-٢٤٠



فواضح من مفردات هذه المقطوعة وتعابيرها مدى الحقد الصليبي والافتراء المسيحي ، والأماني الإبليسية ، التي ما تحققت لهذا الملك الكافر ، بل كانت خاتمته سيئة قبيحة ،" إذ سلط الله عليه زوجته ، فقتلته بجواريها في وسط مسكنه وأراح الله منه الإسلام وأهله ، وأزاح عنهم قيام ذلك الغمام ، ومزق شمله ، فلله النعمة والإفضال ، وله الحمد على كل حال " [١] .

ولم يكن الشعراء الإسلاميون بانشغال عن مثل هذه الرسالة الشعرية الملعونة في مضمونها ، الملعون ناظمها ، التي تدل على أن نفس ناظمها منطوية على شيطان مارد . يقول ابن كثير : " ولم يبلغني عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه ، إما لأنها لم تشتهر ، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه ، لأنه كالمعاند الجاحد . ونفس ناظمها تدل على أنه شيطان مارد . وقد انتحى للجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهري [٢] فأفاد وأجاد ، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد . فبل الله بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه" [٣]

فقد جاء جواب ابن حزم الظاهري الأندلسي (٣٨٤-٤٥٥هـ) قصيدة فريدة في شكلها ومضمونها ، قالها ارتجالا – كما قرر ابن كثير – حين بلغته رسالة النقفور ؛ غضبًا لله ولرسوله ولدينه ، كما ذكر ذلك من رآه [٤] . جاء في مقدمتها :

(١) المرجع السابق ١١/٢٤٤.

(٢) راجع ترجمة ابن حزم في المنجد قسم الأعلام ص ٩ . ومقدمه محقق ديوانه . د/ صبحي رشاد . طبع دار الصحابة للتراث سنة ١٩٩٠ . وفي مقدمة محقق كتابه طوق الحمامة د/ الطاهر مكي . طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٩٣م .

(٣) البداية والنهاية ١١/٢٤٤.

(٤) السابق ١١/٢٤٧.

من المحتمي بالله رب العوالم ... ودين رسول الله من آل هاشم
محمد الهادي إلى الله بالتقى ... وبالرشد والإسلام أفضل قائم
إلى قائل بالإفك جهلا وضلة ... عن النقفور المفترى في الأعاجم
دعوت إماما ليس من أمرائه ... بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
دهته الدواهي في خلافته كما ... دهت قبله الأملاك دهم الدواهم
ولا عجب من نكبة أو ملمة ... تصيب الكريم الجدود الأكارم
ولو أنه في حال ماضي جدوده ... لجرعتم منه سموم الأراقم
عسى عطفة لله في أهل دينه ... تجدد منه دراسات المعالم [1]

وقد تحققت هذه النفحة الإلهية التي تمناها ابن حزم الظاهري وتوقعها في زمانها ، حين قال من هذه القصيدة الفريدة مادحاً خلفاء العباسيين وأمراءهم في عصره :

ملوك جرى بالنصر طائر سعدهم ... فأهلا بماض منهم وبقادم
محلهم في مسجد القدس أو لدى ... منازل بغداد محل المكارم
وإن كان من عليا عدى وتيمها ... ومن أسد هذا الصلاح الحضارم
فأهلا وسهلا ثم نعمى ومرحبا ... بهم من خيار سالفين أقادم
هم نصروا الإسلام نصرا مؤزرا ... وهم فتحوا البلدان فتح المراغم
رويدا فوعد الله بالصدق وارد ... بتجريع أهل الكفر طعم العلاقم
سنفتح قسطنطينية وذواتها ... ونجعلكم فوق النسور القشاعم
ونفتح أرض الصين والهند عنوة ... بجيش لأرض الترك والخزر حاطم
مواعيد للرحمن فينا صحيحة ... وليست كآمال العقول السواقم



---

(١) السابق ١١/٢٤٧.

ونملك أقصى أرضكم وبلادكم ونلزمكم ذل العبيد [١] المغارم
إلى أن نرى الإسلام قد عم حكمه جميع الأراضي بالجيوش الصوارم [٢]

ثم يوجه خطابه – بعد هذا الفخر المقدام الطموح – إلى ذلك الملك الكافر الدعي ، فيقول مجادلاً إياه في افتراءاته العقدية :

أتقرن يا مخذول دينا مثلثا بعيدا عن المعقول بادى المآثم
تدين لمخلوق يدين لغيره فيا لك سحقا ليس يخفى لعالم
أناجيلكم مصنوعة قد تشابهت كلام الأولى فيها أتوا بالعظائم
وعود صليب ما تزالون سجدا له يا عقول الهاملات السوائم
تدينون تضلالاً بصلب إلهكم بأيدي يهود أزدلين لآثم
إلى ملة الإسلام توحيد ربنا فما دين ذى دين لها بمقاوم
وصدق رسالات الذي جاء بالهدى محمد الآتي برفع المظالم
وأذعنت الأملاك طوعا لدينه ببرهان صدق طاهر في المواسم [٣]

إن صنيع النقفور الحاقد الحاسد قوبل بما يستحقه، وصدق الله العظيم حين استثنى من الشعراء المذمومين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [٤] وصدق الرسول ﷺ

(١) في البداية والنهاية :" ذل الحر الغارم " والصواب عروضيا ما أثبتناه.
(٢) البداية والنهاية ١١/٢٥٠-٢٥١.
(٣) السابق ذاته .
(٤) سورة الشعراء ، الآية الأخيرة .

حين قال : " جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ " [١] وحين قال لحسان بن ثابت ﷺ : " اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ " [٢]

ويعد ابن حزم الظاهري خير من يقوم بهذه المهمة ، في مثل هذا النوع من الشعر ، فهو أعلم عصره وأفقهه بجدال أهل الكتاب ، والرد على ما يثيرونه من شبه ، وقد ألف في ذلك كتابه الجهير " **الفصل في الملل والنحل** " الذي يعد أول كتاب في علم مقارنة الأديان. [٣]

وهكذا عبرت لنا تلك النقيضتان السياسيتان عن صدام حضاري وديني واضح في القرن الرابع الهجري ، كانت القدس أهم أجزائه ، وأخطر مواطنه ، وقد كتب الله لقدسانا الشريف قرنًا أو يزيد بعد هذه الرسالة التهديدية إلى أن كان عصر الحروب الصليبية.

وقد ظهر أثر العلاقة العتيقة بين القدس الشريف والشعر ، وبانت في عصر الحروب الصليبية ، إذ عبر الشعراء عن حال القدس إبان هذه الحروب ، وكان ذلك من خلال أغراض موضوعية ثلاثة ، دارت حول تصوير الاحتلال والتفجع عليه ، ثم الحث على التحرير والخلاص ، ثم وصف التحرير والفرحة له .

وهذا المبحث يتكفل ببيان الغرض الموضوعي الأول وهو :

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده ٣/١٥٣،١٢٤، ٢٥١ وغيره . راجع جزء أحاديث الشعر للمقدسي (ت٦٠٠هـ) ص٤٤ . تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي . طبع المكتبة الإسلامية بالأردن سنة ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٢١٣) راجع جزء أحاديث الشعر ص٤١-٤٢.

(٣) راجع المنجد قسم الأعلام ص٩.

تصوير القدس محتلة صليبيًا :

احتل الصليبيون بيت المقدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وقتلوا الكثيرين ونهبوا الذخائر ، وكان السبب في سقوط القدس في أيدي هؤلاء العتاة هو اختلاف حكام المسلمين وسلاطينهم ، وهذا هو مكمن الضعف في كل عصر ومصر.

وقد صور الشعر ما أحدثه هذا الاحتلال الغاشم وما أحدثه فيما حوله من مكان وأهل ومقدسات.

يروى ابن تغري بردي في وصف هذه الأحداث قول الشاعر :

أحل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح ... وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم أمسى سليبا ... ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديراً ... على محرابه نصب الصليب
ودم الخنزير فيه لهم خلوق ... وتحريق المصاحف فيه طيب
أتُسبَى المسلمات بكل ثغر ... وعيش المسلمين إذن يطيب ؟!
أما لله والإسلام حق ... يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا ... أجيبوا الله ويحكم أجيبوا [1]

هذا هو حال حزب الباطل أمام الحق ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، يقول الأبيوردي (ت ٥٠٧ هـ) في وصف هذه المخازي :

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظن كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

(١) النجوم الزاهرة ١٥١/٥.

تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
فكم من دماء قد أبيحت ومن دمي ... تواري حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا ... وسمر العوالي داميات اللهازم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ... تظل لها الولدان شيب القوادم [1]

ويقرر ابن الخياط (ت ٥١٧هـ) هذه المعاني في قصيدة له في الغرض نفسه ، فيقول:

بنو الشرك لا ينكرون الفساد ... ولا يعرفون مع الجور قصدا
ولا يردعون عن القتل نفسا ... ولا يتركون من الفتك جهدا
فكم من فتاة بهم أصبحت ... تدق من الخوف نحرا وخدا
وأم عواتق ما إن عرفـ ... ـن حرا ولا ذقن في الليل بردا
تكاد عليهن من خيفة ... تذوب وتتلف حزنا ووجدا [2]

حقًا هذا هو حال بني الشرك ، في كل زمان وكان ، ضد أهل الإيمان : تقتيل ، تخريب ، اغتصاب ، انتهاك ، تهجير ، إذلال ، ولكن حسب أهل الحق ربهم ، ونعم لهم وكيلاً ونصيرًا.

(١) ديوانه ٢/١٥٦-١٥٧، تحقيق د/ عمر الأسعد ، مؤسسة الرسالة ط٢ سنة ١٤٠٧هـ ، المذاكي : الخيل ، القشاعم : جمع قشعم ، وهو نكر النسر العظيم ، أو المسن من الرجال والنسور ، وتسوم : تذيق وتنيل ، ودمي : جمع دمية ، وهي الصورة الممثلة من العاج ونحوه ، يضرب بها المثل في الحسن ، والظبا ، جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان ونحوهما ، والعوالي : جمع عالية ، وهي النصف الذي يلي السنان من الرمح ، واللهاذم : جمع لهذم ، وهو كل شيء قاطع من سنان أو سيف أو ناب.

(٢) ديوانه ص ١٨٤-١٨٥ ، تحقيق خليل مردم بك ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤١٤ هـ .

وقد دفعت هذه المآسي والمخازي التي لحقت بالقدس الشريف وأهله على يد الصليبيين الصالح بن رزيك (ت ٥٥٦ هـ) أن يكتب قصيدة إلى صديقه ورفيقه أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) يعزيه عما حدث بالشام من زلزلة شديدة مؤثرة ، هلك بسببها من الخلق من هلك ، وقد جعل هذه الزلزلة نتيجة للتهاون في شأن القدس ، وللتغاضي عما يحدث به وبأهله. يقول:

كره الشام أهله فهو محقو ... ق بأن لا يقيم فيه لبيب
إن تجلت عنه الحروب قليلا ... خلفتها زلازل وخطوب
رقصت أرضه عشية غنى الر ... عد في الجو والكريم طروب

وأخذ يعدد آثار هذا الزلزال إلى أن قال متسائلا:

أبذنب أصابها قدر الله ... فللأرض كالأنام ذنوب
إن ظني والظن مثل سهام الر ... مي منها المخطي ومنها المصيب
أن هذا لأن غدت ساحة القد ... س وما للإسلام فيها نصيب
منزل الوحي قبل بعث رسول الله ... فهو المحجوج والمحجوب
نزلت وسطه الخنازير والخمـ ... ـر وباري الناقوس فيه الصليب
لو رآه المسيح لم يرض فعلا ... ذكروا أنه له منصوب
لهف نفسي على ديار من السـ ... ـكان أقوت فليس فيها مجيب [1]

كان هذا حال القدس وكان الناس عنها لاهين فكان لابد لهم من بلية تذكرهم بتفريطهم ، لقد هجم الصليبيون على الشام – والقدس تبع لها حينئذ – وأعملوا

(١) كتاب الروضتين لأبي شامة المقدسي ١/١٠٦ ، طبع دار الجيل ، بيروت، لبنان.

السيف في رقاب ألوف الأبرياء ، وخربوا المدن ، وحولوا المساجد إلى كنائس ، وأسروا كثيراً من المسلمين والمسلمات، وعاثوا في الأرض فسادًا : ينهبون ، وينتهكون ، ويغتصبون ، والمسلمون لا حول لهم ولا قوة ولا قدرة ، في شغل فاكهون ، وبدنياهم يتلذذون ، لاهثين وراء كل مكسب مادي دنيوي ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ، ناسين أو متناسين روح الأخوة الإسلامية وحقوقها . أمام أهل الكتاب الذين حرَّفوا وبدَّلوا حسب أهوائهم ، كما قال الصالح في هذه القصيدة :

ابعد الناس عن عبادة رب الـ ... ـناس قوم إلههم مصلوب [1]

فهم حقا بعيدون عن العبادة الحقة الخالصة ، بأفعالهم هذه مع إخوانهم في الإيمان والإسلام ، ولكن هذا ديدن المتعصبين منهم في كل وقت وحين .

ويدور الزمان دورته فيعود الصليبيون إلى القدس ثانية سنة ٦٢٦هـ ، محتلين ، بعد اتفاق مهين وقعه معهم الملك الكامل سنة ٦٢٥ هـ يقضي بجلاء الفرنجة عن دمياط إزاء ما يتاح لهم من تسهيلات للعودة إلى بيت المقدس [2].

ولكن عبر الشعر عن الرفض الشعبي لهذا الاتفاق ، فقال شهاب الدين يوسف بن الحسين بن محمد بن مجاور :

يا صاح قل للإنكتير الكلب دع ... عنك الجنون وخذ مقالة منصف

القدس ما فيه لسرجك مطمع ... كلا ولا نور الإله بمنطفي

---

(١) السابق ١/١٠٧ .

(٢) راجع في ذلك كتاب الروضتين ٢/٢٠٥-٢٠٦ ، والسلوك لمعرفة الملوك للمقريزي ط١ ص ٢٣١ وما بعدها تحقيق د/ مصطفى زيادة ، ومقالات في الأدب الإسلامي د/ عمر الساريسي ص ٢١٣-٢١٥، طبع دار الفرقان بالأردن سنة ١٩٦٩م.



والمسجد الأقصى فعنه تقص من ... وقع الدبابيس الأليمة تعرف
واستفت نفسك فهي أخبث ناصح ... واترك متابعة اللجاج المتلف [1]

ومن ثم كان ابن الساعاتي محقًا حين ذكر أن من فضائل الناصر صلاح الدين هو حفظه للقدس من عودة الصليبيين إليها ثانية قال : أبو الحسن على ابن السعاتي (ت ٦٠٤) من قبل تائية ابن المجاور مادحًا صلاح الدين:

سل عنه قلب الإنكتير فإن في ... خفقاته ما شئت من انبائه
لولاك أم القدس غير مدافع ... وأسال سيل نداه في بطحائه
ويكت جفون القدس ثانية ... لترنم الناقوس في أفنائه [2]

فواضح مدى إحساسه بقيمة فتح القدس على يد الناصر ﷺ وتعبيره عن كون القدس مقصد الأعداء الأسمى ، فهم يريدونها في كل وقت ، وصلاح واقف لهم بالمرصاد ، يصد غاراتهم ، ويزلزل مخططاتهم ، ولكن أحفاد صلاح الدين كانوا على خلاف هذا النهج فأحدث بعضهم هذا الاتفاق المخزي الذي أضاع القدس ، فبكى عليها عدد من الشعراء منهم القاضي مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي قاضي الطور ، الذي صور الخراب الذي ألم بالقدس في هذه الفترة العصيبة بقوله:

مررت على القدس الشريف مسلّما ... على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين منى صبابة ... على ما مضى من عصرنا المتقدم
وقد رام علج أن يعفى رسومه ... وشمّر عن كفى لئيم مذمم

(١) كتاب الروضتين ٢/٢٠٤.
(٢) السابق ذاته .

فقلت له : شلت يمينك خلّها لمعتبر أو سائل أو مسلم
فلو كان يفدي بالنفوس فديته بنفسي وهذا الظن في كل مسلم (١)

فالخراب الذي أحدثه صاحب دمشق في سنة ٦١٦هـ (٢) بالقدس أمر شنيع لا يقدم عليه إلا جبان رعديد ، لا يقدر القدس حق قدرها ، ولا يعرف مدى حب كل مسلم لهذه البقعة الغالية ، ومدى رغبة كل مسلم في الدفاع عنها بكل نفيس ، من نفوس وأموال وأقوال ، وهذه الغيرة اتضحت بجلاء في قول ابن مجاور الذي بكى على هذا الحدث الجلل ، بقصيدة بليغة طويلة ، نلحظ فيها مدى الإحساس بالمكانة المقدسة للقدس.

جاء مطلعها معبرًا عن العاطفة الحزينة الملمة بالشاعر نتيجة هذا الحدث الجلل . يقول:

أعيني لا ترقي من العبرات صلي في البكا الآصال بالبكرات
لعل سيول الدمع يطفئ فيضها توقد ما في القلب من جمرات
ويا قلب أسعر نار وجدك كلما خبت بادكار يبعث الحسرات
ويا فم بح بالشجو منك لعله يروح ما ألقى من الكربات (٣)

إنه يستثير جوارحه ، ويبث فيها شعور الحزن وروح الثورة ، وذلك تحسرًا وبكاء على فقد أشياء غالية ونفيسة ، وهي :

(١) النجوم الزاهرة ٦/٢٤٦.
(٢) راجع في ذلك : رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر العربي حتى سقوط غرناطة ، د/ عبد الرحمن حسين محمد ص ٨٩ وما بعدها طبع سنة ١٤٠٣ هـ - سنة ١٩٨٣ م.
(٣) السابق ٢/٢٠٥-٢٠٦



على المسجد الأقصى الذي جل قدره ... على موطن الإخبات والصلوات
على منزل الأملاك والوحي والهدى ... على مشهد الأبدال والبدلات [1]
على سلم المعراج والصخرة التي ... أنافت بما في الأرض من صخرات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها ... صلاة البرايا في اختلاف جهات
على خير معمور وأكرم عامر ... وأشرف مبنى لخير بناة
وما زال فيه للنبيين معبد ... يوالون في أرجائه السجدات

تلك مكانة القدس والمسجد الأقصى ومآثرهما التي تدفع المسلم دفعًا على البكاء الصادق من أجلها . ولكن ما الذي حدث بهما ؟

يقول ابن مجاور مصورًا حال المسجد الأقصى بعدما احتلته الفرنجة :

عفا المسجد الأقصى المبارك حوله ... الرفيع العماد العالي الشرفات
عفا من بعد ما قد كان للخير موسما ... وللبر والإحسان والقربات
يواف إليه كل أشعث قانت ... لمولاه بر دائم الصلوات
خلا من صلاة لا يمل مقيمها ... توشح بالآيات والسورات
خلا من حنين التائبين وحزنهم ... فمن بين نواح وبين بكاة

حقا خلا من المصلين والتائبين واهتزت صورته التي كانت زاهية ، ومن ثم حق لنا البكاء والنحيب بصوت جهير ، وحق لنا إعلان الشكوى والحزن في كل البقاع على فقد هذه البقعة الطاهرة . يقول ابن المجاور في ذلك :

لتبك على القدس البلاد بأسرها ... وتعلن بالأحزان والترحات [2]
لتبك عليها مكة فهي أختها ... وتشكو الذي لاقت إلى عرفات
لتبك على ما حل بالقدس طيبة ... وتشرحه في أكرم الحجرات

(١) الأملاك : جمع مليك ، والأبدال والبدلات / من مصطلحات الصوفية ، يقصد العباد والزهاد.

(٢) الترحات : جمع وهي الحزن الشديد.

هذا ما يجب على كل بلد تردد فيها شهادة التوحيد ، التأثر لما حدث بالقدس والحزن لما أحدثه بها المعتدون ، والبكاء على ماضيها الزاهر المشرق في عهد صلاح الدين ، لقد فعلوا بها الأفاعيل يقول :

لقد أشمتوا عكا وصورا بهدمها ... ويا طالما غادتهما بشمات
لقد شتتوا عنها جماعة أهلها ... وكل اجتماع مؤذن بشتات
وقد هدموا مجد الصلاح بهدمها ... وقد كان مجداً باذخ الغرفات
وقد أخمدوا صوتاً وصيتاً آثاره ... لهم عظم ما والوا من الغزوات
أما علمت أبناء أيوب أنهم ... بمسعاته عدواً من السروات [1]
وإن افتتاح القدس زهرة ملكهم ... وهل ثمر إلا من الزهرات

لقد أجاد الشاعر هنا ، إذ ذكر بني أيوب بسبب عزهم ومنبع فخرهم ، ألا وهو ارتباطهم بالقدس والصلة الوثيقة بينهما لقد طهرها صلاح الدين من رجس المحتلين ، وبنى بذلك لها ولبني أيوب مجداً بارزاً على مدى التاريخ ، وما كان ينبغي لأحفاده – بعد أربعين عاماً من التحرير– أن يفرطوا فيها ويمسحوا تلك الصورة الزاهية التي سطرتها جهود الناصر ، فالوصول إلى القمة سهل لكن الحفاظ عليها صعب ، فما بالك بالتفريط فيها ، إنه مر علقم ، يستدعي البكاء ، ويوجب الحزن ، يقول :

فمن لي بنواح ينحن على الذي ... شجاني بأصوات لهن شجاة
يرددن بيتاً للخزاعي قاله ... يؤبن فيه خيرة الخيرات :
" مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات " [2]

---

(١) السروات : جمع الجمع للسراة وهم كبار القوم ومشاهيرهم.

(٢) السابق ٢٠٦/٢ – وراجع بيت الخزاعي في ديوانه صـ ١٣١، تحقيق د/ عبد الصاحب عمران الدخيلى ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ط١ سنة ١٩٧٢م .

إنه تعب من الحزن وضج من البكاء ، فيستدعي نساء ليقمن حفلة ندب ولطم وبكاء ، وليساعدنه على حزنه العميق ، كما يستدعي بيتًا شعرياً سياراً في رثاء بيت الخلافة الإسلامية ، وبيت النبوة من آل علي ، على يد العباسيين ، للشاعر الشيعي دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) .

وهكذا نجد ابن المجاور يبكي القدس بكاءً صادقاً ، ويرثيها رثاءً حاراً ملتاعاً متفجعاً ، يعدد الآثار المقدسة الماضية ، ويصور الأهوال الحاضرة ، ثم يستبكي عليه البلاد والناس جميعاً ، ثم يظهر الجزع الشديد الذي به من عودة الفرنجة الصليبيين إلى هذا المكان المقدس الطاهر ، بعد ما كان محرراً مطهراً على يد بني أيوب ، أولئك الذين :

هم نصروا التوحيد نصراً مؤزراً	به عز في الآفاق كل موحد
وهم قهروا غلب الفرنج ببأسهم	فدانوا لهم بالرغم لا عن تودد
وردوا إلى البيت نوره	وقد كان في ليل من الشرك أسود [1]

فهذا ما يقوله التاريخ ... أخذوا على عاتقهم منذ وجودهم تحرير بيت المقدس والحفاظ عليه مطهراً ومشرفاً وممجداً . وذلك ما سيتضح في قادم الصفحات .

لقد وصف الشعراء ما حل بالقدس وبكوها ورثوها ، متذكرين مكانتها الإسلامية ، وماضيها في تاريخ الرسالات السماوية ، متفجعين ومتحسرين ، وواصفين ما ألم بها من انتهاكات واغتصابات وتقتيل وتشريد وإذلال وهوان .

---

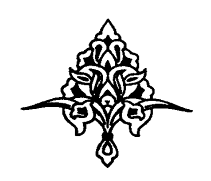
(١) من شعر مجد الدين ابن الظهير الإربلي في مدح بعض ذرية الناصر صلاح الدين ، كتاب الروضتين ١/ ١٩٦.

إن شعراء فترة الحروب الصليبية كانوا من ذلك الفريق الذي يعايش الواقع الاجتماعي معايشة حقيقية لما في ذلك الواقع ، متمردة على التفكير المثالي ، واصفة حركة الحياة بكل متناقضاتها ، وهذا الفريق لا يحلم بالمثالب ، ولكن يقتحم ، ويفجر مناطق السكون في الواقع ، وهؤلاء الواقعيون الذين يرون في تصوير الشر وتجسيم القبيح تبصيراً للناس به ، ومن ثم يحذرون الوقوع فيه ، ويؤكد هذا المنحى ما ذهب إليه بودلير في قوله : " ادرس جميع الجراح كطبيب يمارس مهنته في دار المرضى " (١) .

ولكن هل وقف شعراء هذه الفترة عند الوصف الوقعي الراصد للمأساة والمصور لمقابحها فقط ؟

كلا ، فذلك دور سلبي يقف عند الولولة والنحيب ، ويكون فاشلاً غير مؤثر في التعامل مع النيران المشتعلة والسيوف البتارة .

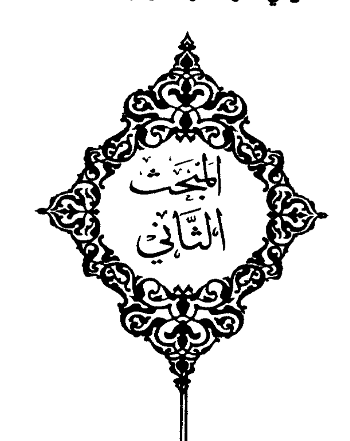
أما الدور الإيجابي الفعال ، فهو الحث على التحرير والفتح ، والحض على الجهاد والكفاح والمواجهة الصريحة للأعداء المحتلين الغاصبين ، وهذا ما لحظه وعبر عنه كثير من شعراء هذه الفترة على النحو التالي ...



---

(١) من مقال للأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم ، في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد الحادي والعشرون صـ ١٤٧، طبع مركز آيات للطباعة والكمبيوتر سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.





حث الشعراء قادة الإسلام على تحرير القدس

الحث على تحرير القدس :

نظراً لهذه المكانة المعظمة للقدس في نفوس الناس شعراء وغير شعراء ، وجدنا الشعراء يستثيرون حمية المسلمين ويدعونهم للنهوض دفاعاً عن حرماتهم المنتهكة وأعراضهم التي استباحها الصليبيون في غير رحمة ولا لين ، ويحرضونهم على الجهاد في سبيل الذود عن حياضهم وديارهم ويحمسونهم للقيام بنصرة دينه .

" وقد ظهر خلال الحروب الصليبية كثير من الشخصيات الإسلامية التي استحقت لقب البطولة ، والتي خلدها التاريخ لما أظهرته من مواهب ممتازة في قيادة الجيوش وإدارة رحى المعارك ، ولما بذلته من جهود كبيرة في سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين . ومن هؤلاء العظماء عماد الدين زنكي ونور الدين ، وصلاح الدين ، والملك المعظم تورنشاه وغيرهم .

وقد نزل هؤلاء منزلة القداسة في قلوب الناس فأحبهم المسلمون وجعلوهم مواطن آمالهم ومعاقد رجائهم ، فهم حماة الإسلام والمسلمين ، وقاهروا الصلبان والصليبيين ، وهم الذين صانوا أعراض المسلمين بعد أن أذلوا الغزاة المعتدين ، وقد ظهروا والمسلمون في يأس وقنوط ، والإسلام في خطر الزوال ، والمساجد أضحت كنائس ، فقادوا المسلمين من نصر إلى نصر " [1] .

فهذا ابن القيسراني يقول في سنة ٥٣٩هـ مهنئًا عماد الدين زنكي بتحريره إمارة الرها في شمال سوريا ، ومهيباً به لتحرير الأقصى:

أما آن أن يزهق الباطل	وأن ينجز العدة الماطل
إلى كم يغب ملوك الضلال	وسيف بإعتاقها كافل

---

(١) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ص ٢٩٣.

فـــلا تحفلـــن بصـــوت الذئـــا ب وقـــد زار الأســـد الباســـل
وهـــل يمنـــع الديـــن إلا فتـــى يصـــول انتقامـــاً فيســـتاصل

وبعد هذا الاستهلال الاستنجازي ينتقل إلى مدح عماد الدين وتهنئته ، ثم يقول محرضاً على الجهاد :

وجاهـــد في الله حـــق الجهـــا د محتســـب بـــالعلى قـــافل
وهـــل يمنـــع الســـور مـــن طـــالع يشـــايعه القـــدر النـــازل
فـــإن يكـــن فـــتح الرهـــا لجـــة فســـاحلها القـــدس والســـاحل [1]

ويسير ابن القيسراني السير نفسه مع نور الدين محمود زنكي بن عماد الدين ، فيهنئه بالانتصار على صاحب أنطاكية عام ٥٤٤هـ ، ثم ينتقل إلى غرض الحث على فتح القدس قائلا:

كنـــا نعـــد حمـــى أطرافنـــا ظفـــرا فملكتـــك الظبـــى مـــا لـــيس تحتســـب
عمـــت فتوحـــك بالعـــدوى معاقلـــها كـــان تســـليم هـــذا عنـــد ذا جـــرب
لم يبـــق مـــنهم ســـوى بـــيض بـــلا رمـــق كمـــا التـــوى بعـــد رأس الحيـــة الـــذنب
فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجب يوليـك أقصى المنى فالقـدس مرتقب
وائـــذن لموجـــك في تطهـــير ســـاحله فإنمـــا أنـــت بحـــر لجـــه لجـــب [2]

وإن كان تصويره لكثرة الفتوح جاء معيبا لقصر المشبه به عن المشبه في الجامع بينهما ، ولما في المشبه به من إيحاء بما ينفر من قيمة المشبه . أما

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ٤٩/١. ولابن المنير شعر في المعنى نفسه . الروضتين ٤٠/١ .
(٢) الروضتين ٥٩/١، والظبي: جمع ظبية ، وهي حد السيف ونحوه.



الصورة في البيتين الأخيرين فهي جميلة معبرة عن المعنى المراد ، وإن كان مكرورًا ، ليس فيه عمق أو كثرة تركيب في أجزاء التصوير. ولابن القيسراني مدائح أخرى في نور الدين يردد فيها مجده وانتصاره الحربيين ، ضد حملة الصليب ، وما يأمله على يديه من رد بيت المقدس والساحل الشامي على أصحابهما المسلمين ، ودائما ما يحوطه بهالة إسلامية هو جدير بها ، فقد كان يحارب في سبيل الله لا يبتغي مغنما ، وإنما يبتغي ما عند الله من الأجر والثواب ، حتى ليقول له ابن القيسراني في هذه القصيدة السالفة:

وإلا تكن أحد الأبدال في فلك الـ ... تقوى فلا نتمارى أنك القطب

وكأنه يعده قطب تقوي وإنقاذ الشام وأهل الشام (١)

وهذا العماد الأصفهاني يقول مادحا نور الدين ويهنئه بملك مصر :

اغز الفرنج فهذا وقت غزوهم ... واحطم جموعهم بالذابل الحطم

وطهر القدس من رجس الصليب وثب ... على البغاة وثوب الأجدل الحطم

فملك مصر وملك الشام قد نظما ... في عقد عز من الإسلام منتظم (٢)

فقد أحس العماد بأن نور الدين قد أتم توحيد المسلمين بتملكه مصر والشام ، ومن ثم فهذا هو الوقت الذي يسمى الآن في لغة الحرب بساعة الصفر ، أي وقت دخول الحرب بكل قوة واستقرار ، فما بعد الاتحاد إلا القوة ، والقوة عدة النصر ولكن لم يكتب الله للعماد أن يتحقق حلمه العظيم على يد ذلكم القائد العظيم

(١) عصر الدول والإمارات ، الشام، ص ٦٣٩ ، د/ شوقي ضيف ، دار المعارف.

(٢) الروضتين ١/١٧٥، والذابل الحطم : الرمح القاهر . والأجدل القطم : الصقر المفترس . وللعماد وابن المنير أشعار أخرى في هذا المعنى بالروضتين ١/٧ ، ٥٧ ، ١٥٠ ، ١٦٠.



نور الدين محمود ، ذو الرأي الثاقب ، والعقل الرصين والإرادة الماضية [1] ، فقد توفي في سنة ٥٦٩هـ ، فتأثر بذلك العماد تأثرًا صادقًا فرثاه بمرثية طويلة ، كان منها قوله :

أزهدت في دار الفناء وأهلها ... ورغبت في الخلد المقيم وصوره

أوما وعدت القدس أنك منجز ... ميعاده في فتحه وظهوره

فمتى تجير القدس من دنس العدى ... وتقدس الرحمن في تطهيره [2]

فهذه الاستفهامات ليست عتابية أو استبطائية ، بل هي تذكير للجميع بالنية الصادقة التي كانت في أقوال هذا السلطان وأفعاله ، فقد كانت غايته الكبرى هي تحرير القدس وتطهيرها من دنس الصليبيين وفسادهم ، وهذا ما عبر عنه ابن القيسراني بقوله:

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة ... فبالأفق الداني إلى ذا السنا فقر

كأني بهذا العزم لا فل حده ... وأقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر

وقد أصبح البيت المقدس طاهرا ... وليس سوى جاري الدماء له طهر

وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر

وصلت بمعراج النبي صوارم ... فساجدها شفع وساجدها وتر [3]

فعزم نور الدين ومقصده من كفاحه وجهاده ، إنما هو الوصول إلى بيت المقدس لتحريره وتطهيره . والنص ناطق بذلك ، ومعبر عن أن تحرير القدس

(١) راجع مقال الدكتور عماد الدين خليل بعنوان " نور الدين محمود الطريق إلى فلسطين ، مجلة العربي عدد جمادى الأول لسنة ١٣٩٩هـ.

(٢) كتاب الروضتين ٢٤٥/١.

(٣) السابق ٧٣/١ .

حلم يراود الشاعر ويدور بخلده ويسير على لسانه في كل موقف ومناسبة . حلم عند كل شعراء هذا العهد ، فالجميع متشوق لتحريرها وحاض على تخليصها ، يقول الصالح بن رزيك من قصيدة كتبها إلى أسامة بن منقذ:

بلغوا قولنا إلى الملك العاد ... ل فهو المرجو والمأمول
قل له : كم تماطل الدين في الكفا ... ر فاحذر ان يغضب المطول
سر إلى القدس واحتسب ذاك في الله ... فباليسير منك يشفى الغليل
وإذا ما ابطا مسيرك فالله ... إذن حسبنا ونعم الوكيل[1]

فهذه الأبيات ناطقة بأن التحرير مطلب شعبي ، لأن الصليبيين شوكة دامية يجب القضاء عليها ، حتى يكون للإسلام وأهله استقرار وعزة ووجود واقعي وحضاري في تلك البقعة التي بارك الله حولها.

ويأتي الحث على الجهاد بصيغة عامة غير موجهة إلى ملك معين ، في قول ابن الخياط:

إلى كم وقد ذخر المشركون ... بسيل يهال له السيل مدا
وقد جاش بأرض إفرنجة ... جيوش كمثل جبال تردا
تراخون من يجتري شدة ... وتنسون من يجعل الحرب نقدا
أنوما على مثل هد الصفاة ... وهزلا وقد أصبح الأمر جدا
وكيف تنامون عن أعين ... وترتم فأسهرتموهن حقدا
وشر الضغائن ما أقبلت ... لديه الضغائن بالكفر تحدا
بنو الشرك لا ينكرون الفسا ... د ولا يعرفون مع الجور قصدا[2]

---

(١) السابق ١/١١٩ .

(٢) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ص ٣٠٢، وراجع عصر الدول والإمارات – الشام ص ٦٣٦ . د/ شوقي ضيف ، دار المعارف.



فابن الخياط صور في هذه المقطوعة الحالة النفسية للمسلمين ، وأرسل التحريض ممزوجًا بالبكاء على ما أصاب المسلمين من بطش الصليبيين ، ويلاحظ أن الشاعر لم يذكر بيت المقدس ، ولم يحرض على تخليصه ، كما فعل غيره من الشعراء فيما بعد ، كما أنه لم يذكر الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وهذا أمر طبيعي . فقد كان المسلمون منقسمين إلى شيع وطوائف ودويلات صغيرة لا رابطة بينها ولا صلة . والشاعر هنا يحرض أميرًا صغيرًا ، لذلك لم يكن من المعقول أن يكلفه الدفاع عن المسلمين أو تخليص المسجد الأقصى ، أو غير ذلك مما لا يتحقق إلا بقيام المسلمين متحدين مزودين بالعدد الكثير والعدة الوفيرة [1] ، فهذا هو سبب تعميم التوبيخ والإنكار وتوجيهه للجميع ، والنهج نفسه كان عند الأبيوردي ، حيث يقول محرضًا بني الإسلام جميعًا :

وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فإيها بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمة في ظل أمن وغبطة ... وعيش كنور الخميلة ناعم ؟!
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظن كل نائم ؟!
وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمي ... تواري حياء حسنها بالمعاصم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى ... رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى ... ولا تحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى ... ويغضي عن ذل كماة الأعاجم ؟!
فليتهم إن لم يذودوا حمية ... عن الدين ضنوا غيره بالمحارم [2]

---

(١) السابق.

(٢) ديوان الأبيوردي ٢/١٥٦-١٥٧، تحقيق/ عمر الأسعد ، مؤسسة الرسالة ط ، سنة ١٤٠٧. والقصيدة في الكامل لابن الأثير ١/٢٨٤-٢٨٦، وفي النجوم الزاهرة ٥/١٥١، وفي البداية والنهاية ١١/١٥٦-١٥٧.

فواضح مدى هيمنة لغة الجهاد ، وأساليب التحريض ، وأدوات التقريع والتأنيب للمتشاغلين اللاهين ، المنصرفين عن هم الأمة الأكبر ، والعظيم ، ألا وهو القدس . والذي يعايش القصيدة كلها يجد أنها بوحدتها الموضوعية الجلية " استنفار قوي للمسلمين من العرب الأعاجم ؛ كي يقفوا سدًا منيعًا دون حماهم وحمى الإسلام ، يذودون عنه بسلاحهم وأرواحهم ، حتى يذيقوا الصليبيين وبال حربهم ويردوا كيدهم إلى نحورهم .

وهي أولى القصائد التي أخذت طوال قرن تصوب أبياتها بل سهامها إلى صدور أعداء المسلمين ، حتى استطاع صلاح الدين أن يستنقذ منهم بيت المقدس وغيره من ديار الشام ، ويسفك دماء ملوكهم وقادتهم ، وكان حقًا على الله نصر المؤمنين" [1] .

ومن ثم شاعت هذه القصيدة على ألسنة الخطباء ، وفي كتب المؤرخين الذين تناولوا فاجعة الاستخراب الصليبي بالتحليل والتأريخ.

ولما فتحت مصر سنة ٥٦٢ هـ على يد أسد الدين شيركوه قال العماد الأصفهاني قصيدة هنأه بهذا الفتح ، كان منها قوله :

فتحت مصر وارجو أن تصير بها ... ميسرا فتح بيت المقدس عن كثب

قد أمكنت أسد الدين الفريسة من ... فتح البلاد فبادر نحوها وثب

أنت الذي هو فرد في بسالته ... والدين من عزمه في جحفل لجب

وما غضبت لدين الله منتقما ... إلا لنيل رضى الرحمن بالغضب

وأنت من وقعت في الكفر هيبته ... وفي ذويه وقوع النار في الحطب

وحين سرت إلى الكفار فانهزموا ... نصرت نصر رسول الله بالرعب [2]

(١) راجع عصر الدول والإمارات – الشام – ص٢٠٦، د/ شوقي ضيف ، طبع دار المعارف سنة ١٩٩٠م .
(٢) كتاب الروضتين ١/١٦٠ .



لقد رأى العماد في شخصية قائده الفاتح سيما المنقذ وسمات المخلص حيث الإخلاص والشجاعة والقوة ، فما كان من العماد إلا أن وجه إليه رغبته المستكنة المستمرة ، وهي تحرير القدس مما هي فيه.

ثم كان عهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله فكثرت الأشعار التي تستنهضه وتستعديه على الصليبيين. لقد " كثر إلحاح الشعراء وتحريضهم على القتال والنزال وتطهير بيت المقدس من رجس الكفار وتخليص المسجد الأقصى من عبدة الصلبان . ولو أنك ألقيت نظرة على القصائد التي قيلت في مدح صلاح الدين وتهنئته بانتصاراته التي أحرزها على الصليبيين ، لوجدت كل قصيدة فيها تنتهي بالتحريض على السير إلى بيت المقدس وتطهيره من أدناس الكفار وأرجاسهم ، وإعادته إلى حظيرة الإسلام ، ولا عجب في ذلك فقد كان المسلمون يحترقون شوقًا إلى تخليص المسجد الأقصى موضع الإسراء الذي بارك الله حوله ، ومثال ذلك قول أحد الشعراء على لسان القدس:

يا أيها الملك الذي	لمعالم الصلبان نكس
جاءت إليك ظلامة	تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت	وأنا - على شرفي - منجس [1]

فقد استعان هذا الشاعر بالتصوير الفني الاستعاري في التعبير عن قضية القدس ، والآلام والمآسي التي تعيشها تحت نير الاحتلال الصليبي الحاقد البغيض.

(١) الحروب الصليبية ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

وعلى هذا الدرب ، وبعاطفة صادقة مخلصة ، سارت الشعراء في تناول القضية ، خصوصًا العماد الأصفهاني ، الذي يقول في مدح صلاح الدين الأيوبي:

نهوضا إلى القدس يشفي العليـ ـل بفتح الفتوح وما ذا عسير
سل الله تسهيل صعب الخطو ب فهو على كل شيء قدير
إليك هجرت ملوك الزمان فمالك والله فيهم نظير
وفجرك فيه القرى والقران جميعا وفجر الجميع الفجور
وانت تريق دماء الفرنج وعندهم لا تراق الخمور (١)

ويخاطبه بضمير الجماعة تعظيمًا له وتقديرًا لجهوده ، يقول:

وما يرتوي الإسلام حتى تغادروا لكم من دماء الغادرين بها غدرا
فصبوا على الإفرنج سوط عذابها بأن يقسموا ما بينها القتل والأسرا
ولا تهملوا البيت المقدس واعزموا على فتحه غازين وافترعوا البكرا
تديمون بالمعروف طيب ذكركم وما الملك إلا أن تديموا لكم ذكرا (٢)

وعند العماد فتح القدس هو فتح الفتوح ، ونبع عزة الإسلام ، يقول في صلاح الدين ﷺ :

أسدى صلاح الدين والدنيا يدا بنوالها سوق الرجاء تقام
فتملي فتحك واقصد الفتح الذي بحصوله لفتوحك الإتمام
دم للعلى حتى يدوم نظامها واسلم يعز بنصرك الإسلام (٣)

---

(١) كتاب الروضتين ٢٤٧/١ .
(٢) السابق ١٧٨/١ .
(٣) السابق ٢٤٧/١ .



وقد كان صلاح الدين عند حسن ظن العماد ومعاصريه ، فحقق غايتهم ، وأجاب مرادهم ، فقد عاش في بيئة الكفاح والجهاد من مواجهة الغارات الخارجية على الإسلام ، حتى بدت منه أمارات السعادة ، ولاحت عليه لوائح التقدم والسيادة ، وقدمه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رَحِمَهُ اللهُ وعول عليه ونظر إليه وقربه وخصصه ، ولم يزل كلما تقدم قدماً يبدو منه أسباب تقتضي تقديمه إلى ما هو أعلى منه ... وكانت هذه الرعاية من نور الدين سبباً في هذا النصر التاريخي لصلاح الدين ، ولو علم ما ادخر الله للإسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينه ، فإنه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد المشركين وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمهما – رحمهما الله تعالى – . وحق لعين نور الدين أن تقر بعد هذا الفتح ، فقد كان لا يرى إلا الجد في غزو الفرنج بجهده وطاقته [(١)] .

وهذا الإحساس الواضح من الشعراء بحال القدس إبان الاحتلال الصليبي أمر يتناسب مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فقد فطر الإنسان " على أن يدافع عن نفسه ، ويذود عنها ما يوجه نحوها من كيد وعدوان ، وبغي وطغيان ، وظلم وبهتان ، فإذا عجزت قواه ووسائله المادية عن أن يرد الخطر ويصد العدوان ، وشعر بعدم قدرته على الكفاح والنضال ، لم يجد بداً من اللجوء إلى الله فيدعوه علانية وسراً ، ويلح في الدعاء والتضرع والاستغاثة ، ويسأله أن يدفع عنه الخطر ويزيل الكرب ويذهب الغم والهم ، ويكشف البلاء ما يعلم وما لا يعلم " [(٢)] ، ولذا وجدت قصائد طويلة كثيرة في نتاج شعراء هذه الفترة ، تدور

---

(١) راجع السابق ١/٢٢٨ ، ٢/٢١٨ ، ومقالات في الأدب الإسلامي صـ ٢٠٠ ، د/ عمر عبد الرحمن السريسي ، ط١ سنة ١٤١٧– ١٩٩٦م . ، طبع بالأردن ، والطريق إلى بيت المقدس ١/٧٠ وما بعدها .

(٢) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي صـ ٣٠٨ .

حول هذا المعنى ، منها قصيدة " **دعاء المنفرجة** " للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، وقصيدة " **المنفرجة** " لأبي الفضل يوسف بن محمد التوزي (ت ٥١٣هـ) وغيرهما [١] .

وهذه طبيعة المؤمن وسجيته في كل حال ، وفي كل زمان ومكان ، يستغيث بربه ويتوسل إليه أن يكشف الكرب ، ويلحق بأعداء الدين الهزائم ويذيقهم الذل والخسف والهوان ، ويجعلهم هم وأموالهم غنيمة وطعاماً سائغاً لحزب الله ، **ألا إن حزب الله هم المفلحون الغالبون** . فلسان حال جميع المسلمين في كل عصر ومصر ، يقول :

إلهي قد مللنا الذل دوماً	وطال الضعف والعجز الصراح
فبعد ظهورنا في الكون دهراً	أدرنا الظهر وانكسر الجناح
أزالوا السيف من يدنا اغتصاباً	وصار سلاحنا حجراً يطاح
فمعذرةً إلهي أنت عون	على شر له غدر بواح
فأنقذنا بفتح مستقر	يليه مجد نصر واكتساح
ويبدلنا من الإذلال عزاً	ففي هذا حياة وانفتاح
إلهي يا مجيباً كن مغيثاً	فقد ناداك أهلونا السماح
وهم أتقى وأهدى من يهود	وهم متطهرون وهم صحاح [٢]

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الأشعار الثائرة أن القدس كانت قضية الشعراء والناس في هذه الفترة ، لم يتركوا أملاً إلا طرقوه ، شخصاً كان أو حدثاً

(١) راجع هذه القصائد في المصدر السابق صـ ٣٠٨ – ٣١٥ ، ومقال المدائح النبوية إبان معارك الصليبيين للدكتور محمد عبد السلام صقر ، في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق عدد ٢١ صـ ٧٣ .
(٢) من شعر المؤلف في قصيدة له عن آلام الأمة .



وهذا هو الدور الإيجابي المطلوب من الشعر في مثل هذه الظروف ، فالشعر كان " أحد أدوات الحرب الذي يشعل فتيلها ، ويذكى سعيرها ، ويحمى وطيسها ، بل لعلنا لا نغلو إذ قلنا : إنه كان أنفذ أدواتها ، وأمضى أسلحتها ، وأبقاها أثراً في نفوس العرب ، لأن العرب – كما نعلم – قوم عاطفيون ، تلعب العاطفة دوراً خطيراً في حياتهم ، وما الشعر الغنائي الذي تبعثه الانفعالات النفسية ، وتزجيه الأحاسيس الذاتية إلا نتيجة لهذا الطبع المتوارث عند العرب .. فإذا كان الفارس يدفع عن قومه بسنانه فإن الشاعر – أيضاً – يذب عن قومه بلسانه ، حتى يبعث فيهم روح التضحية والبطولة والإقدام ، كما يدعو الجبان فيحيله شجاعاً ، وينفث في روع الخائف ، فيجعله مقداماً ، هذا بجانب التعريض بخصومهم ، وهجاء سادتهم ، وإشاعة التخويف فيهم ، حتى يفت في عضدهم فلا يقووا على محاربة قومه . وهذه مهمة تجعل الشاعر مقدماً على الفارس ، لما يتركه الشعر من أثر دائم في النفوس [(١)] .

وهذا هو الذي حدث من الشعر تجاه احتلال الصليبيين للقدس ، فقد كان بيت المقدس المحور الذي يدور حوله التحريض ، فإذا اقترب الخطر منه اشتد التحريض على جهاد الصليبيين وكثر الإلحاح في حماية الأماكن المقدسة من اعتداء الإفرنج ، وإذا بعد الخطر خفت وطأة التحريض إلى حد ما " [(٢)].

ولو أمكن أن يجمع الشعر الذي قيل في هذا الباب لعماد الدين زنكي أولاً ، ولنور الدين بن عماد الدين ثانياً ، ولصلاح الدين الأيوبي ثالثاً ، لو أمكن أن

---

(١) راجع مقال" أثر الشعر في حياة العرب " للدكتور / حسن عبد الرحمن سليم ، في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ١٦/٢٤٢ وما بعدها – طبع مكتبة نور الصباح سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٦م .

(٢) الحروب الصليبية صـ ٣٠٦ ، وراجع مقالات في الأدب الإسلامي صـ ١٩١ وما بعدها .

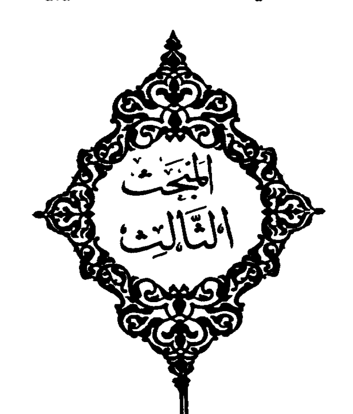
يجمع ما قيل حولهم من شعر ونثر يخص بيت المقدس إبان الحروب الصليبية ، لوقع في عدة مجلدات ، يمكن أن يدرك منها مدى الكفاح الشعري الذي نالته قضية القدس ، حينئذ ، تصويراً لمكانتها الإسلامية ، وتبياناً لما حدث لها من مآس : قتلاً واغتصاباً ، وتشريداً ، وانتهاباً ، كذلك كافح الشعراء في ميدان الحث على الجهاد ، والتحريض على التحرير لهذه البقعة المباركة .

وذلك حال الشعر العربي منذ أوليته الجاهلية حتى آننا هذا ، فتاريخ الكلمة الأدبية هو " تاريخ صراع الحق والباطل على الأرض .. صراع أفكار وكلمات قبل أن يكون صراع أبدان وأسلحة ، وما زال الصراع صراع أفكار وكلمات في ديمومته وجوهره ، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة ، فليست المصادمات الفعلية دائمة ، وليس لاصطراع الأسلحة استمرارية ، أما صراع الكلمات والأفكار فهو الصراع الذي لا ينقطع ولا يهدأ ، وقد كان – وما يزال – انتصار الكلمة والفكرة هو الانتصار الحقيقي ، وما اصطراع الأسلحة والجيوش إلا وسيلة إلى هذه الغاية ، ولو تحقق انتصار الفكرة والكلمة لما كانت هناك ضرورة لإشعال حروب ولا لسفك دماء " [1].

وذلك كان هو دور كلمة الحق الشاعرة في تصوير حال القدس محتلة إبان الحروب الصليبية ، حتى تحقق نصر الله للحق ، فتحررت القدس ، وتخلصت من نير الاحتلال ومآسيه ، وكان ما تمناه الشعراء من رموز الجهاد وقتذاك ، على النحو التالي ...

(١) الأدب الإسلامي ضرورة صـ ٣٧ ، د/ أحمد محمد علي ، دار الصحوة للنشر سنة ١٤١١ هـ =١٩٩١ . وراجع في ذلك الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق د/ صابر عبد الدايم يونس ، طبع دار الارقم ١٩٩٠ م.





تصوير الشعر لإعادة القدس وتحرير أهلها إسلاميًا

عانت القدس وأهلها خلال الاغتصاب المسيحي كثيرًا من الأهوال والشدائد التي أهلكت الحرث والنسل ، وأودت بحياة كثيرين بين قتيل وأسير ومصاب وقعيد ، كما أدت إلى حدوث مجاعات فتكت بالناس فتكًا ذريعًا ، مما نتج عن هذه الآثار السيئة أضرار كثيرة وخسائر فادحة ، لذا كان تحرير القدس فتحًا عظيمًا مباركًا ، فرح به المسلمون وطربوا ، وابتهج المجاهدون وسعدوا ، إذ نصرهم الله وأعزهم ، وخذل الكفار وأذلهم ، فانطلق الشعراء يسجلون هذا الانتصار في شعرهم ، ويعبرون عن هذه العواطف في نظمهم ، فوجدوا مجال القول ذا سعة فقالوا وأطنبوا ، ومدحوا وقرظوا ، وأشادوا بنصر الله الذي جاءهم والفتح ، وأثنوا على همم أبطال المسلمين الذين أبلوا بلاءً حسنًا في سبيل الله مخلصين له الدين.

يقول ابن كثير : " فلما أذن للظهر من هذه الجمعة المباركة - أي جمعة فتح القدس - حضر السلطان - أي الناصر صلاح الدين - بقبة الصخرة المقدسة ، وهو في غاية السرور والفرح ، إذ جعله الله تعالي في هذا الفتح ، ثانيًا لعمر بن الخطاب ﷺ الفاتح الأول ، وميزه بهذه المنقبة دون سائر الملوك من ملوك الإسلام ... وامتلأت عراص المسجد وصحوته بالخلائق ، واستعبرت العيون من شدة الفرح ، وخشعت الأصوات ووجلت القلوب " [(1)] .

ويقول جمال الدين بن واصل : " ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح ، وهو الرابع من شعبان ، حضر المسلمون الحرم الشريف ، فغص بالزحام ، فإنه حين تسامع الناس من كل صقع وجاءوا من كل فج ، ليفوزوا بالزيارة ويحظوا بالمشاهدة للفتح ، فاجتمع من أهل الإسلام عدد عظيم لا يقع عليه الإحصاء " [(2)].

---

(١) البداية والنهاية ٣١٤/١٢، طبع دار الفكر العربي.

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢١٨/٢، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، طبع القاهرة



وصدق الله العظيم في قوله ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [الرُّوم : ٤ :٦] .

ذلك النصر الذي كان رؤيا لمسلم صالح ، ملكت عليه قلبه سرورا وغبطة ، تأكدت وثبتت لديه عن طريق البحث في تفسير القرآن الكريم ، يروي أبو شامة المقدسي ذلك فيقول :" كان الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي الحلبي قد وقع إليه تفسير لأبي الحكم المغربي ، فوجد فيه عند قوله تعالى ﴿ الم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ... الآية﴾ أن أبا الحكم قال : إن الروم يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، ويفتح البيت المقدس ، ويصير دار للإسلام إلى آخر الأبد... فلما فتح السلطان – أي صلاح الدين – حلب كتب إليه المجد ابن جهبل ورقة يبشره بفتح البيت المقدس على يديه ، ويعين فيه الزمان الذي فتحه فيه ، وأعطى الورقة للفقيه عيسى فلما وقف عليها لم يتجاسر على عرضها على السلطان ، وحدث بما في الورقة لمحي الدين بن زنكي الدين القاضي الدمشقي ، وكان ابن زنكي الدين واثقا بعقل ابن جهبل ، وأنه لا يقدم على هذا القول حتى يحققه ويثق به فعمل قصيدة ، مدح السلطان بها حين فتح حلب في صفر ، وقال فيها:

وفتحكم حلبا بالسيوف في صفر ... فبشر بفتوح القدس في رجب

... قال المجد ويشبه هذا أنني في سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبي الأسطول المنصور في أبيات ، كان منها قوله :

لا زالت وهابا لما حازه ... سيفك من حور ومن لعس

وإنني آمل من بعدها ... كرائم السبي من القدس

قال : " فجاء الأمر على وفق الأمل ، فوهب لي ما أملت عام القدس " [١] .

كما حكى أبو الحسن على بن محمد السخاوي قال : قرأت بخط شيخنا أبي الفضائل بن رشيق بمصر عقيب موته في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، قال : رأى إنسان كأن شخصًا ذا جهامة واقفًا على حائط بجامع دمشق يسمى النسر ، وهو يقول :

ملك الصياصي والصواصي ناصر	للدين بعد إياسه أن ينصرا
وسيفتح البيت المقدس بعدما	يطوي الطراز له ويقتل قيصرا [٢]

وكان هذا قبل فتح القدس بعشر سنين.!!!

لقد عاش المسلمون بأرواحهم مع القدس يحلمون بها ويتمنون تحريرها وعودتها إلى الإسلام ، وقد كان لهم ما تمنوه في ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣هـ الثاني من أكتوبر سنة ١١٨٧م ، حيث اخترقت منجنيقات صلاح الدين أسوار القدس المنيعة ، فارتفعت تكبيرات المسلمين في قبة الصخرة المشرفة ، وفي ثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين.

وقد سجل شعراء عصر الحروب الصليبية الفرحة بهذا الحلم المتحقق ، ومن هؤلاء النسابة المصري محمد بن سعد بن علي بن يعمر الحلبي المعروف بالجواني ، الذي يقول :

---

(١) كتاب الروضتين ٤٦/٢. لعس : جمع لعساء، وهي التي اسود باطن شفتها ، وتلك صفة حسن وجمال عند العرب.

(٢) كتاب الروضتين ١٠٤/٢. والصياصي : جمع صيصية ، وهي الحصن . والصواصي : جمع صاصية وهي ناصية ، أو مقدم الرأس ، والمراد الشخص كله . والطراز هو بلاد الساحل المصطفة على بلاد البحر من الداروم ، وغزة وعسقلان ، وعكا وصيدا ، وبيروت وجبيل وغير ذلك.





أترى مناما ما بعيني أبصر	القدس يفتح والفرنجة تكسر
وقمامة قمت من الرجس الذي	بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم	ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي	وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشآم وطهر القدس الذي	هو في القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد	ماذا يقال له وماذا يذكر[1] ؟!

فواضح مدى إحساسه الجواني وتعبيره عن الدهشة التي ألمت به وبكثير من معاصريه لفتح القدس ، وقد كان هذا تحولاً واسعًا في قصيدة المديح المصرية ، فإنها لم تعد – كما كانت أيام الفاطميين – قصيدة تنشد في الأعياد والاحتفالات الرسمية ، قصيدة مناسبات ، بل أصبحت قصيدة أمجاد حربية مظفرة وتنبه لذلك أبو شامة في الروضتين ، فأتبع المواقع الحربية بما نظم فيها من مدائح تصور البطولة العربية تصويرًا يملأ نفس كل عربي بالفتوة والقوة والمضاء ، ويدفعه دفعًا إلى أن يكبل لأعداء العروبة والإسلام ضربات قاصمة " [2].

كان هذا الفتح حلما صعب المنال عبر عنه صلاح الدين بقوله : " وأما الفتح فمن جملة بركات همته ، وآثار جذبات عزمته ، فإن الله تعالى سهل ما سجل أهل الدهر بأنه صعب ، وأهب نسيم النصر إبان يقال ليس له مهب ، وخصنا بهذا الشرف ، وألحقنا في هذه الفضيلة بصالحي السلف ، وقد بدل الكفر

(١) السابق ٢/١٠٥ .
(٢) عصر الدول والإمارات ، مصر والشام ، ص ١٩٠.

بالإيمان ، والناقوس بالأذان ، وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان ، وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان [1]....

ويقول أبو الحسن علي الجويني مصورًا قيمة هذا النصر في النفوس:

تسعون عاما بلاد الله تصرخ والإ ... سلام أنصاره صم وعميان

فالآن لبي صلاح الدين دعوتهم ... بأمر من هو للمعوان معوان

للناصر ادخرت هذي الفتوح وما ... سمت لها همم الأملاك مذ كانوا

حباه ذو العرش بالنصر العزيز فقا ... ل الناس : داود هذا أم سليمان

لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد ... تنزلت فيه آيات وقرآن [2]

وفي هذا المعنى يقول العماد الأصفهاني في إحدى قصائده التي هنأ بها السلطان بمناسبة فتح القدس :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا ... وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى

فلا عدمت أيامنا منه مشرقا ... ينير بما يولي ليالينا الدمسا

جنودك أملاك السماء وظنهم ... عداتك جن الأرض في الفتك لا الإنسا

فلا يستحق القدس غيرك في الورى ... فأنت الذي من دونهم فتح القدسا

ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا ... فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا

وطهرته من رجسهم بدمائهم ... فأذهبت بالرجس الذي أذهب الرجسا

نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها ... وألبستها الدين الذي كشف اللبسا [3]

---

(١) كتاب الروضتين ٢/٩٩.

(٢) السابق ٢/١٠٥ .

(٣) السابق ٢/١٠١-١٠٢.

حقا إنه فتح مبين ، ونصر من الله العظيم ، ذو آثار طيبة ، يضاهي فتوح النبي ﷺ ، وأصحابه وتابعيه رضوان الله تعالى عليهم.

ومن ثم كان المدح بفضيلة فتح القدس قاسمًا مشتركًا بين أبناء أسرة صلاح الدين وأقاربه . يقول العماد الأصفهاني من قصيدة يمدح بها الملك الأفضل:

والقدس أعضل داؤه من قبلكم — فوفيتم بشفاء ذاك المعضل

درج الملوك على تمني فتحه — زمنا وغلتهم يد لم تبلل

واتى زمانكم فأمكن آخرا — ما قد تعذر في الزمان الأول

ما كان قط ولا يكون كفتحكم — للقدس في الماضي ولا المستقبل

أوجدتم منه الذي عدم الورى — وفعلتم في الفتح ما لم يفعل [1]

وواضح في هذه المقطوعة مدى المبالغة المدحية في تعبيرات الشاعر حرصاً منه على القدس خصوصاً في تعبيريه : " ولا المستقبل " ، و" ما لم يُفعل " .

ويقول في مدح الملك المؤيد :

وكم لبني صلاح الدين فينا — على الإسلام من حق تأكد

وإن لهم على الأملاك طرا — بفتح القدس فضلا ليس يجحد [2]

ويقول ابن الساعاتي في بعض أقارب السلطان:

الست من القوم الألي بسيوفهم — ثنوا صخرة البيت المقدس مسجدا [3]

---

(١) السابق ٢/١٠٥.

(٢) السابق ٢/١٠٧.

(٣) السابق ذاته.

كانت القدس هم المسلمين الأول، وكان تحريرها عملاً عجيبًا ، غير متوقع وحلما صعب التحقيق ، فلما وقع حق لشعرائهم أن يمدحوا من فعله بكل خلال الخير والفلاح قولاً وفعلاً ، بل وتعداه إلى بنيه وأقاربه ، فهم خير سلف لخير خلف ، وقد دخل على المسلمين بسبب هذا الفتح سرور عظيم .[1]

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

ولقد كان تحريرها سببًا في إبداع الشعراء إبانئذ لكثير من القصائد التي صورت الفتح تصويرًا مفصلاً ، ووثقته توثيقًا شعريًا محلقًا وسيارًا . وقد سجلها وذكر بعضًا من أشعارها أبو شامة المقدسي في كتاب الروضتين ، ومنها قدسيات العماد الأصفهاني ، الذي سجل فتح القدس في قصائد عديدة في كتبه : **البرق الشامي ، وخريدة العصر ، قسم الشام ، والفيح القسي في الفتح القدسي.**

ولا يقتصر ذكر فتح القدس على الأماديح فقط ، بل وجد في الرثائيات أيضا ، فقد كانت لوفاة صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ " رنة حزينة عميقة في جميع القلوب والديار لكثرة فتوحاته ، وقد أزاح الصليبيين عن صدر الشام وافتتح بيت المقدس ، ولم يبق معهم إلا عكا وأنطاكية وبعض حصون وبلدان قليلة ، وبكاه الشعراء ، وفي مقدمتهم عماد الدين الأصفهاني ، وله فيه مرثية بديعة ، ختم بها كتابه البرق الشامي [2] ، ومنها قوله :

شمل الهدى والملك عم شتاته ... والدهر ساء وأقلعت حسناته

(١) من تعبير ابن العماد الحنبلي في وصفه لفتح القدس . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣٩٧/٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٢) عصر الدول والإمارات . مصر والشام صـ ٢٢٧.



أين الذي لم يزل مخشية	مرجوة رهباته وهباته ؟
أين الذي كانت له طاعاتنا	مبذولة ولربه طاعاته ؟
بالله أين الناصر الملك الذي	لله خالصة صفت نياته

ويظل يعدد خلاله القولية والعملية ، إلى أن يقول :

فعلى صلاح الدين يوسف دائما	رضوان رب العرش بل صلواته
لضريحه سقيا السحاب فإن يغب	تحضر رحمة ربه سقياته

ثم يذكر أثره في توحيد الممالك ، قائلاً :

قد كان وعدك في الربيع بجمعها	هذا الربيع وقد دنا ميقاته
والقدس طامحة إليك عيونه	عجل فقد طمحت إليه عداته
والغرب منتظر طلوعك نحوه	حتى تفيء إلى هداك بغاته
والشرق يرجو غرب عزمك ماضيا	في ملكه حتى تطيع عصاته (١)

ويقول من قصيدة أخرى :

من للعلا من للذرى من الهدى	يحميه من للبأس من للنائل ؟
طلب البقاء لملكه في آجل	إذ لم يثق ببقاء ملك العاجل
بحر أعاد البر بحرا بره	وبسيفه فتحت بلاد الساحل
من كان أهل الحق في أيامه	وبعزه يردون أهل الباطل
وفتوحه والقدس من أبكارها	أبقت له فضلا بغير مساجل (٢)

(١) كتاب الروضتين ٢/٢١٥-٢١٦.

(٢) الروضتين ٢/٢١٧.

ويقول جعفر بن شمس الخلافة من قصيدة يرثي بها الناصر:

قضى فقضى بالمعروف وانقرض الندى ... وحطت رحال الوفد في الشرق والغرب
أفاض على الدنيا سجال نواله ... ففاضت عليه أعين العجم والعرب
ولو أنه يبكي على قدر حقه ... أسال دموع الحزن من أعين الشهب
جزاه عن الإسلام خيرا إلهه ... فما مل عنه من دفاع ومن ذنب
تداركه بعد ابتذال فقد غدا ... وكان شديد الخوف في أمنع الحجب
وأصبح للبيت المقدس منقذا ... بأصلب عزم من مقارنة الصلب
أذل له الله العدا مذ أطاعه ... وسهل منهم كل ممتنع صعب [1]

لقد حامى صلاح الدين عن الإسلام حماية هائلة ، حماية جعلته في الذروة من أبطال الإسلام الفاتحين ، رحمه الله رحمة واسعة.

لقد كان الرثاء لصلاح الدين مثل مدحه ،" فهو تمجيد للبطولة في القائد الذي رحل ، وبيان للصفات الحميدة التي كان عليها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإنما هو يمثل اللوعة والحرقة على فقد هؤلاء الأبطال الذين واصلوا الجهاد ودعوا إليه ، وأخذوا يقاومون الصليبيين ، ويصمدون في قتالهم ، فصدقوا بذلك ما عاهدوا الله عليه " [2].

وتصوير اللوعة على صلاح الدين وأمثاله ، إنما يصور آلام المسلمين ، في فقد مثلهم ، وفقد ما حققوه من انتصارات وإنجازات مخلدة ، لاسيما فتح القدس الشريف.

---

(١) السابق ٢/٢٢٤.
(٢) شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية صـ ١٣١، د/طلعت صبح السيد ، طبع سنة ١٤١٢هـ =١٩٩٠م.



فالقدس الشريف التي كانت الشغل الشاغل لصلاح الدين الأيوبي ، والهدف الأسمى لجهوده ، يدل على ذلك قوله لما أرسل إليه الصليبيون يطلبون القدس ويهددونه ، وذلك في سنة ٥٨٧هـ : " القدس لنا كما هو لكم ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فإنه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة ، فلا نتصور أن ننزل عنه ، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين ، وأما البلاد فهى أيضاً لنا في الأصل واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بها من المسلمين ذلك الوقت ، وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة ، لا يجوز أن نفرط فيه إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام هي أوفى منها " [1] .

ويصور طلب الفرنج هذا وتهديدهم وقصدهم للسلطان بالقدس الرشيد بن النابلسي ، فيقول :

ويح الفرنجة بل ويل امهم أوما ... فيهم لبيب على العلات يعتبر
فكم نشرتهم ضرباً إذا انتظموا ... وكم نظمتهم طعناً إذا انتشروا
كم قد سقيتهم ذلاً فلا عجب ... إن عربدوا سفها فالقوم قد سكرو
إن يمموك فلا بدع لجهلهم ... تسعى إلى الأسد في غاباتها الحمر
فحام عن حوطة البيت المقدس لا ... خوف وحاشاك من خوف ولا ضرر
هو الشريف وقد ناداك معتصماً ... فما على مجده من بعدها حذر
وسوف تستغفر الأيام هفوتها ... وتحصد الفئة الأوغاد ما بذروا [2]

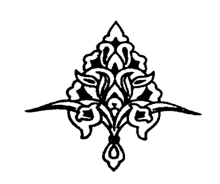
وقد حدث ذلك الحصد للفئة الباغية ، ولكن في سنة خمس وعشرين وستمائة للهجرة استولى الفرنج على القدس صلحًا ، ثم أخرجهم عنوة الملك

(١) كتاب الروضتين : ٢/١٩٣ .
(٢) السابق ٢/١٩٤.

الناصر صلاح الدين داود بن المعظم شرف الدين بن عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، أحد أحفاد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فقال جمال الدين يحيى بن مطروح (ت ٦٥٠هـ):

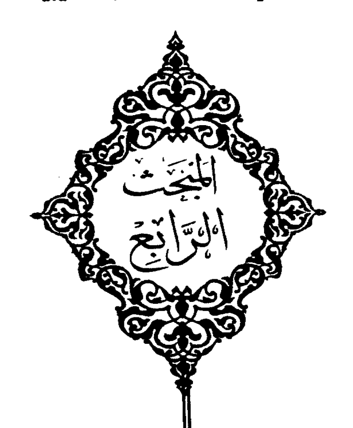
المسجد الأقصى له عادة	سارت فصارت مثلاً سائراً
إذا غدا للكفر مستوطناً	ان يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا	وناصر طهره آخرا [1]

وذلك الشعور المتفائل ، وتلك العادة المكرورة ، أمر ننتظره في آننا هذا ، وهو قادم لا محالة ، ولن يتخلف ، فإن الله ينصر من ينصره ، ويدافع عن المظلومين ، لأنه هو القوي العزيز.



(١) السابق ٢/٢٠٦.





شعر القدس إبان الحروب الصليبية في ميزان النقد الأدبي

الشعر القدسي في ميزان النقد الأدبي:

هكذا عاش الشعر والشعراء قضية القدس الشريف إبان الحروب الصليبية ، عاشوها مكاناً جميلاً مباركاً فيه ، وعاشوها مكاناً محتلاً مدمراً مخرباً ، وعاشوها مكاناً مفتوحاً محرراً مطهراً ، بجلاء ، ووضوح ، وصدق .

لقد اهتم شعراء هذا العصر بتسجيل أحداث القدس وقت الاحتلال الصليبي وأثناءه وبعده ، وما وقع فيه من فظائع جسيمة ، وأهوال مروعة ، وهي وقائع عاينوها وعاصروها ، فكان شعرهم عنها ذاتياً ، استوحوه من حياتهم الشخصية ومن أحاسيسهم ومشاعرهم نحو هذه الحياة ، فهم لا يتحدثون عن شيء لذات هذا الشيء ، وإنما يتحدثون عنه من حيث علاقتهم بهذا الشيء ، ومن ثم جاء شعرهم واقعياً في موضوعه وتصويره وتعبيره .

"إن شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية يمثل حقيقة التجربة الشعرية في أصدق صوره ، فهو شعر يدور حول جهاد المسلمين فيصور إيمانهم ويفخر بتضحياتهم وبانتصاراتهم ، ولما كان شعرهم وحي جهاد المجاهدين ذهبت الكثرة الكثيرة منه في تصوير حروبهم وتمجيد بطولاتهم وشجاعتهم واستعذاب الموت والتضحية في سبيل دينهم ، ولذلك نصح أن نقول : إننا نقرأ شعر الجهاد في العصر الصليبي فنحس كأننا نرى المجاهدين ونرى حياتهم وظروفهم ، ونلمس بحواسنا البواعث التي ساقت الشعراء إلى هذا اللون من هذا الشعر" [1] .



إن موضوعات الشعر القدسي في عصر الحروب الصليبية موضوعات خاصة بالمسلمين ، من حيث أنهم أحسوها وعايشوا ظروفها ، وقد عبر الشعراء تعبيراً حقيقياً عما كان عليه القدس وأهله والمسلمون في سائر البلدان حوله قبل

(١) شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ص ١٨٤.



الاحتلال حيث التفرق ، وأثناءه حيث اللهو وعدم الإحساس بالكارثة ، ثم الفواق والتنبه والاستيقاظ للجهاد من أجل التحرير ، وبعد زوال الاحتلال حيث الفرح بالنصر ، وحمد الله تعالى عليه ، وتخليد اسم الناصر صلاح الدين وجنوده ، إذ أحدثوا ما كان يتغياه كل مسلم آنئذ .

ومراجعة النصوص الشعرية السابقة يدل بصدق على ما قرر من صدق العاطفة وسموها ، وإن كان في بعضها تكلف فهو راجع إلى ضعف الموهبة .

جاءت العاطفة في " الشعر القدسي " دينية ملتهبة متدفقة ، تعبر عن مشاعر إنسانية عامة ، يحسها قطاع كبير من جمهور المتلقين المسلمين . ومن ثم وجد تشابه وتكرار في المعاني والأفكار ، لأنهم يتغنون بعاطفة واحدة ، وينزعون إلى هدف واحد قصروا شعرهم عليه ، وبيئتهم واحدة ، فلم تتميز شخصياتهم ولم تتباين أشعارهم ، وإن كان بناؤهم الشعري متنوعاً كماً وكيفاً ، كل حسب طاقته الإبداعية ، وموهبته الشاعرية .

وقد تمثلت الروح الدينية والتاريخية في هذا الشعر تمثلاً أغنى ديوان الشعر حينئذ بالمعاني الإسلامية ، فقد تأثر الشعراء بمعاني القرآن الكريم ، ولغته وأسلوبه من حيث الوضوح ، والسلامة في التعبير لفظاً وتعبيراً . كما امتزجت أشعار القدس بأغراض الشعر المختلفة في هذا العصر من مدح ووصف ورثاء وعتاب وهجاء ، وهي أشعار تغمرها روح التفاؤل والأمل ، والإيمان بالنصر مهما اشتدت الأمور واستحكمت حلقات المصاعب.

ومن جديد الأغراض الموضوعية في هذا الشعر الحث والتحريض على الجهاد وهجاء المتخاذلين كما عند الأبيوردي وابن الخياط ، وطلائع بن رزيك وغيرهم .

ومن الصور الجميلة في هذا الشعر قول العماد الأصفهاني :

واهتز عطف الإسلام من جذل | وافتر ثغر الإيمان وابتسما
واستبشرت أوجه الهدى فرحا | فليقرع الكفر سنه ندما [1]

فقد جعل للإسلام عِطفاً وللإيمان ثغراً وللهدى أوجهاً وتلك استعارات جسمت هذه المعنويات ذات القيمة السامية في نفوس المسلمين . والجديد أنه شبه الكفر بإنسان يعض يديه بحسرة ومرارة من شدة الندم حين يرى الإسلام ينتصر.

وقول مجد الدين بن الظهير الإربلي :

وردوا إلى البيت المقدس نوره | وقد كان في ليل من الشرك أسودا [2]

فقد مثل الشرك بالليل الأسود ، وهي صورة جديدة غير معهودة ، وإن كان في الليل سكناً وراحة ، والكفر كله تعب وضنك .

ومعروف عن العماد هيامه بالبديع نثرًا وشعرًا ، فهو اتجاه خاص به يكاد يكون معروفاً عنه من قبل مؤرخي الأدب وناقديه.

ومن المعارضة الظاهرة إيقاعياً ومعنوياً في هذا الشعر ، قول ابن القيسراني محتذيًا شعر أبي تمام في قصيدته البائية في فتح عمورية ، حيث قال قصيدة يمجد فيها نور الدين محمود ، ويحدثه بالأمل الذي خلفه في نفوس المسلمين ، ويسجل سياسته في توحيد كلمتهم ، كان مطلعها :

هذي العزائم لا ما تدعي القضب | وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت | تعثرت خلفها الأشعار والخطب [3]

---

(١) كتاب الروضتين ١/١٩٥.

(٢) السابق ١/١٩٦.

(٣) النقد الأدبي الحديث ص ٣٦٣- ٣٦٤، د/ محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة سنة ١٩٧٧م . وراجع التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث ، د/ صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.



فواضح مدى نظره إلى قصيدة أبي تمام شكلاً ومضمونًا ، من خلال هذا المطلع الذي يدل بوضوح على هذا التأثير.

ولعل في الشعر القدسي أثناء هذا العصر نبعًا فياضًا نهل منه الشعراء المحدثون والمعاصرون في تناول هذه القضية ، فالكل غالبًا يدور حول وصف المأساة وعرض الحال ، وتأنيب المسلمين ، وتقديم الحلول ، والتذكير بأن النصر قادم لن يتخلف ، وذلك ما دار حوله الشعر القدسي إبان الحروب الصليبية.

لقد صور هذا الشعر قصة كاملة بأحداثها وشخوصها وتفاصيلها ، وزمانها ومكانها ، ولكن في أسلوب شعري موجز مكثف لماح ، وليس مطنبًا ، مكرراً ، كالأسلوب الدرامي الروائي النثري .

إن هذا الشعر خليط من الفخر والحماسة والمدح والرثاء والوصف ، يستدعي المعاني الدينية والشخوص التاريخية والوقائع المروية ، شعر يمثل واقع هذه الفترة أصدق تمثيل ، لأن العاطفة لم تكن فردية ، بل عامة تتضمن التعبير عن ضمير المسلمين جميعًا ، فجاءت تجاربهم مباشرة واضحة " والشاعر الحق هو الذي تتضح في نفسه تجربته ، ويقف على أجزائها بفكره ، ويرتبها ترتيبًا قبل أن يفكر في الكتابة ، والتجربة الشعورية يستغرق فيها الشاعر لينقلها إلينا في أدق ما يحيط بها من العالم الخارجي ، فتتمثل فيها الحياة وألوان الصراع التي تتمثل في النفس أو الفرد إزاء الأحداث التي تحيط به ، بل إن التجربة لتنبض بحياة تفتح عيوننا على حقائق قد لا تبين عنها حقائق الحياة أو حالات النفس ، كما تبدو لأكثر الناس " (١) .

---

(١) السابق.

والوهج الديني لا يخبو في آفاق التجارب الشعرية التي ارتادها شعراء هذه الفترة عموما ، والشعراء المعنيون بشأن القدس خاصة ، إذ إن حسهم إسلامي ، ومنطلقهم ديني ، عاشوا القضية بروحانية الإسلام وتعاليم شريعته ، ومفاخر أبنائه الأبطال في تاريخه الطويل الممتد . استمع إلى ابن المنير ، يمدح السلطان نور الدين في رمضان من سنة ٥٤٣هـ.

لا عدم الإسلام من كفه	كهف لمن ارهق أو حصرا
كأنما ساحته جنة	اجرت بها راحته كوثرا
تصرم الشهر الذي كنت في	أوقاته من قدره أشهرا
جهاد ليل في نهار غزا	إذ كنت فيه الأصبرا الأشكرا
أصدق ما يرشفه سامع	ما هز من أوصافك المنبرا
أوفى ال للدنيا وللدين من	خلاك في ليلهما نيرا
حتى ترى عيسى من القدس قد	نجا إلى سيفك مستنصرا [1]

فالنص مزدحم بالصور الجزئية العديدة التي تتكون من مفردات منبعها الدين الحنيف علومًا وتاريخًا. ولكنها صور غير مباشرة ولا تقريرية خطابية ، بل فيها امتزاج الدين بالتاريخ والواقع امتزاجًا يسيرًا ، وتجد هذا الامتزاج واضحا في قول ابن القيسراني في مدح نور الدين:

كأني بهذا العزم لا فل حده	واقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا	وليس سوي جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها	فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر

(١) كتاب الروضتين ١/٥٧.



وصلت بمعراج النبي صوارم ... مساجدها شفع وساجدها وتر (١)

فصورة الحلم كلية ، أجزاؤها معالم دينية معروفة ، كما تجد ذلك في قول ابن الساعاتي في مدح صلاح الدين بعد فتحه القدس :

هو الفاتح البيت المقدس بعدما ... تحامته سادات الدنيا ومسودها
فضيلة فتح كان ثاني خليفة ... من القوم مبديها وأنت معيدها (٢)

ولكن هذه الصور لا توازي أو تضاهي الصور الشعرية الحديثة والمعاصرة ولا يمكن أن يطلب منها هذا ، ويكفيها أنها عبرت عن تجارب صادقة، وفيها رصد مباشر ، معتمد على الحماسة الشديدة للتجربة ، والانفعال القوي تجاهها ، إذ يحاول كل شاعر استنهاض الهمم وتقوية العزائم حتى تتحقق الغاية ويحدث المراد ، وهو تحرير القدس وتجاوز الواقع الأليم المتردي ، ومن ثم الفرح به والتبشير ، والتهنئة عليه والتسجيل له شعريًا ...

كما يتضح في هذا الشعر التأثر إلى حد كبير بعمود الشعر عند الأسلاف من جزالة وقوة ورصانة ووضوح في التعبير والتفكير والتصوير ، ومن تأثر بالتراث الإسلامي في معانيه وشخوصه وأماكنه وآثاره الفكرية والإبداعية.

وإن كان البناء الفني خاليًا من المقدمات التقليدية الموروثة ، في أغلب الشعر القدسي وقتئذٍ .

(١) السابق ٧٣/١.

(٢) السابق ١٠٧/٢. واضطر إلى إسكان ياء " ثاني ".

لقد دخل الشعراء إلى التعبير عن غرضهم مباشرة، خصوصا في القصائد القدسية الخاصة بالتبشير والتهنئة بهذا الفتح المبين ، ومن ثم لم تنفصل هذه الأشعار عن إيقاع العصر لغة وأسلوبا وعروضاً وتصويراً ، ورؤية موضوعية سابحة في فلك التصور العربي والإسلامي ، مشحونة بطاقاته الروحية وخصائصه الفكرية.

وإن كانت بعض الصور ذات معنى مبالغ فيه يصل إلى حد الغلو والإفراط كما في قول ابن المجاور عن المسجد الأقصى :

على خير معمور وأكرم عامر واشرف مبنى لخير بناة [1]

فالتعميم في الوصف هنا غير مقبول ، لأنه تجاوز الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، وإن كان جو التجربة وسياقها يعطي للشاعر مندوحة في ذلك الصنيع فهو في موقف حزن وتحسر على ما ألم بالقدس من احتلال صليبي وتفريط إسلامي ، وذلك أمر يجعل الإنسان مكبل التفكير ، ينظر للأحداث بعيون ضيقة محدودة .

كما يمكننا أن نقرر أن شعراء الربع الأول من القرن السادس الهجري قد قصروا في استثارة الأمة ضد حملة الصليب حينئذ عامة [2] ، كما قصروا في عرض مأساة القدس وحث المسلمين على تحريرها ، وإن كنا نستثني الأبيوردي وابن الخياط ، فهما الشاعران اللذان عبرا بقصيدتين عن هذه المأساة ، وبينا موقف المسلمين تجاهها.

---

(١) كتاب الروضتين / ٢/٢٠٦.

(٢) قرر ذلك الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه عصر الدول والإمارات ، الشام ص ٦٣٦.



وقد ظهر من خلال النماذج المحللة سلفًا ميل الشعراء إلى التراكيب القريبة السيارة الشائعة في الاستخدام اليومي ، وكذلك المعاني المطروحة ، التي تعبر عنها هذه التراكيب ، كلها ليست تستعصي على أفهام المتلقين : مثقفين وغير مثقفين آنئذ.

أما الصور الأدبية المشرقة والمحلقة ، والأفكار اللماحة الخفية التي تجذب العقول فهي قليلة نادرة.

إنه شعر معبر عن عصره لغويًا وإيقاعيًا وفكريًا ، وترجم عن أحاسيس الناس حول قضية شغلت الأمة وجعلتها غايتها الكبرى ، وحلمها العظيم ، فلما حلت وتحقق فتحها فرح المؤمنون وطرب المسلمون ، وابتهج المجاهدون ، وانطلق الشعراء يسجلون ذلك في شعرهم ، فوجدوا مجال القول ذا سعة فأطنبوا في الإشادة بنصر الله الذي جاءهم ، وأثنوا على همم أبطال المسلمين الذين أبلوا بلاءً حسنًا في سبيل الله مخلصين له الدين.

وقراءة هذا الشعر فكريًا وفنيًا تدلنا على أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن الأيام دول ، وأنه ما أشبه الغد بالبارحة ، والواقع آلامًا وآمالاً بالماضي ، وأن حاجتنا ماسة هذه الأيام لقراءة صحيحة لتاريخ القدس ، كي نحسن التعامل مع ملف قضية القدس ، وذلك في وقت نشهد فيه قيام الحركة الصهيونية بهجمة قوية لتعميم قراءة خاطئة لتاريخ القدس على العالم أجمع ، والهدف الصهيوني هو استكمال تهويد القدس بعد احتلالها واغتصابها ، وتعميم الزعم الإسرائيلي بأن القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل التي لها السيادة على المدينة .

إن تاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وتاريخ الوطن العربي بمغربه ووادي نيله وشامه وعراقه وجزيرته العربية وتاريخ ديار الإسلام عامة " [١] .

---

(١) من مقال الكاتب الإسلامي الدكتور /أحمد صدقي الدجاني ، منشور في جريدة عقيدتي عدد٢٠٠١/٧/٣١ ، وفي مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢هـ - سبتمبر سنة ٢٠٠١م

وقد ثبت ذلك أثناء الاحتلال الصليبي ، فقد هب لنجدتها المسلمون من كل مكان متآخين ، متحدين ، تاركين الخلافات وراء ظهورهم ، فكان لهم النصر المكين والفتح المبين .

ثم عاشت القدس في عزة وكرامة أثناء حكم المماليك والعثمانيين ، إلى أن كان العصر الحديث ، فحدثت مأساة دامية أخرى للقدس الشريف ، بفعل فاعل ، وكان لفن العربية الأول دوره القوي في بيان هذه المأساة وما يحاك فيها من مؤامرات ومكائد [1] ، كسابق عهد القدس أيام الحروب الصليبية كما يحاول أن يقرر هذا الكتاب.

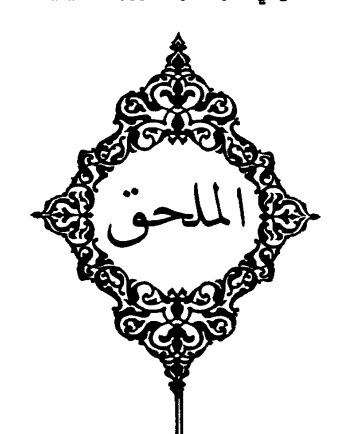
وهكذا استبان أن شعرنا العربي قد أدى دوره المنوط به ، والمتوقع منه ، فعاش مشاعر الحزن والحسرة على مصير القدس ، كما صور أحاسيس عامة المسلمين ، وما لديهم من طموح مخلص وإرادة صادقة لتحرير القدس وتطهيرها من أرجاس الصليبيين وخبث اليهود ، كما عاش الصحوة والانتفاضة التي أذهبت المحنة ، وتسببت في تحقيق المنحة بعد المحنة ، وفي ميلاد الفجر من رحم الظلام فجاءت أشعار الشعراء الأيوبيين دموعًا وشموعًا ، ورجومًا ونجومًا ، فليتنا نتخذ - نحن المسلمين الآن - العبرة والعظة من أجدادنا المخلصين في هذا العصر الرائع ، أولئك الذين واجهوا جحافل الصليبيين والمغول بقلوب صافية وعقول هادية ، وعزائم ماضية :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١].

---

(١) للمؤلف مقال يقرر هذه الحقيقة بعنوان : شعر القدس في العصر الحديث دراسة فنية .





وثائق أدبية حول القدس الشريف

★ تقديم : أهمية التوثيق ودور الأدب فيه :
★ أولاً : وثيقة أدبية في تصوير الفتح الإسلامي للقدس.
★ ثانيًا : وثائق أدبية في تصوير الاحتلال الصليبي للقدس.
★ ثالثاً : وثائق أدبية في تصوير التحرير الإسلامي للقدس.

تقديم

تبوأت الوثيقة على مدار العصور التاريخية مكانا عليا، واهتمامًا ساميًا ، واحتفظت بقدرها وجلالها ، نظرًا لدورها الخطير ، وقيمتها المؤثرة ، ووظيفتها الفعالة في حياة الإنسان ، فهي التي تصون المعلومات . وتحفظ الحقوق ، وتقرر الحقائق ، وترسخ المسلمات ، وتقف دليلاً دامغًا ، وحجة قوية مع كل ذي حق في وجه كل ذي باطل ، ومن ثم كانت الوثيقة – ولا زالت – تزن الحياة ، وتساوي بالنسبة للإنسان المتحضر الوجود أو العدم ، ودليل ذلك ما جاء في نقوش العصر الفرعوني وبردياته من أن " الشخص الذي لا يدون في وثيقة يعد غير موجود " (١) .

كما جاء الأمر بالكتابة – وهي أساس التوثيق – في قرآننا الكريم. قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

كما كان الميثاق في القرآن الكريم هو العهد الثابت الصادق . قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ [المائدة : ٧] ، وقال على لسان يعقوب عليه السلام ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٦٦] ، كما كان الزواج – تلك الرابطة الاجتماعية المتينة – في القرآن ميثاقًا . قال تعالى ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ٢١].

(١) راجع في ذلك " الوثيقة والحياة " للأستاذ محمد محمود إبراهيم الشيمي ، مقال في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ٢٠/٨٢٣ ، مطابع الكابتن سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.



وهذا الاهتمام القرآني بالتوثيق جاء في مواجهة عادة العرب في الاعتماد على تسجيل مفاخرهم وأخبارهم على الذاكرة، وكان من الطبيعي أن تصبح سيرة الرسول ﷺ وأحاديثه ومواقفه أولى مواضيع التوثيق الإسلامي ، ثم مواقف الصحابة والتابعين ووقائعهم بعد ذلك بمرور الأزمان وتتابع الأعصار والأمصار.

ولذا يعد التاريخ والتوثيق – بحق – علم المسلمين ، إذا تطورا على أيديهم بطريقة ذاتية تظهر أصالتهما وصدقهما . ويعد الأدب أداة أساسية في التوثيق ، فهو يرينا صور الحياة عند أسلافنا ، وكيف كانوا يعيشون ، وكيف كانوا يفكرون وكيف كانوا يتناولون الحياة ، وكيف كانوا يستقبلون أحداثها ، ووقع هذه الأحداث في النفوس ، وهو لذلك يعد وثائق تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية مهمة لما ينقل إلينا من أحوال أجدادنا المتنوعة المجالات والاتجاهات ، وهو نقل مباشر فهم الذين يحدثوننا بها دون وسيط ، ودون حجاب ، ومن ثم تأصلت العلاقة بين التوثيق والأدب والتاريخ [١] ولا أدل على هذه العلاقة من وجود نوع من الشعر يسمى " **الشعر التسجيلي** " ، وعرف بأنه " الشعر الذي يسعى ناظموه إلى تسجيل الأحداث البارزة والوقائع المهمة في زمن الأزمان ، وبيئة من البيئات ، وهو يتسع لألوان مستطرفة من الغرائب والعجائب ، كما يتسع لتأريخ الأحداث الجليلة والوقائع المصيرية الحاسمة في سيرة الجماعات والنابهين من العظماء ". [٢]

وكان لأسلافنا جهد عظيم غير منكور في هذا الميدان ، إذ حفظ لنا تراثهم وثائق تاريخية أدبية سجلت لنا كل أحداث الماضي البارزة ووقائعه الفاصلة.

---

(١) راجع في ذلك فصول في الشعر ونقده ، د/شوقي ضيف صـ٩ طبع دار المعارف بالقاهرة ط٣ ١٩٨٨ م، والأدب والنقد في تراث المحبي ، دكتوراه للمؤلف صـ٦٣-١٦٦.

(٢) راجع المعجم المفصل في اللغة والأدب د/ ميشال عاصي ، د/ إميل بديع يعقوب ٢/٧٤٤ ، طبع دار العلم للملايين ، بيروت .د.ت. ومن نماذج هذا الشعر قصيدة السيوطي في أسماء الخلفاء ووفياتهم التي أثبتها بكتابه" تاريخ الخلفاء" صـ٤٠١-٤٠٥.

ومن أهم هذه الأحداث والوقائع بيان حال القدس إبان عصور التاريخ الإسلامي فتحًا إسلاميًا واحتلالاً صليبيًا ، وتحريرًا أيوبيًا إسلاميًا.

فقد ترك لنا أسلافنا المؤرخون جملة من الوثائق الأدبية الخالدة بجمالها الشكلي والفكري في تتبع أحوال القدس وتصويرها قديمًا ، من أهمها ما يلي:

أولا : وثيقة أدبية في الفتح الإسلامي للقدس :

تعد العهدة العمرية خير عمل أدبي سجل حدث الفتح الإسلامي للقدس في سنة١٥هـ . وهذا نصها :

عهده – أي عمر بن الخطاب – إلى أهل إيلياء (القدس)

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقض منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت [1] ، فمن خرج منهم ، فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤاخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على الله خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة خمسة عشر [2]

---

(١) اللصوت : جمع لصت وهو اللص .

(٢) راجع تاريخ الطبرى ٦٠٨/٣ – ٦٠٩ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بالقاهرة ، وراجع أدب الخلفاء الراشدين ص ١٤٧-١٤٨ ، د / جابر قميحة ، طبع دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٥.



ثانياً : وثائق أدبية في تصوير الاحتلال الصليبي للقدس

١ـ وصف ابن الأثير للاحتلال الصليبي للقدس

[ذكر ملك الفرنج ، لعنهم الله ، البيت المقدس]

كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش ، وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني ، فلما ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية وقتلوا فيهم ، ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه ، ومقدمهم الأفضل ابن بدر الجمالي ، وحصروه ، وبه الأمير سقمان ، وإيلغازي ابنا أرتق ، وابن عمهما سونج ، وابن أخيهما ياقوتي ونصبوا عليه نيفًا وأربعين منجنيقًا ، فهدموا مواضع من سوره ، وقاتلهم أهل البلد ، فدام القتال والحصار نيفًا وأربعين يومًا ، وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

وأحسن الأفضل إلى سقمان وإيلغازي ومن معهما ، وأجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا إلى دمشق ، ثم عبروا الفرات ، فأقام سقمان ببلد الرها وسار إيلغازي إلى العراق ، واستناب المصريون فيه رجلاً يعرف بافتخار الدولة ، وبقي فيه إلى الآن ، فقصده الفرنج ، بعد أن حصروا عكا ، فلم يقدروا عليها ، فلما وصلوا إليه حاصروه نيفًا وأربعين يومًا ، ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون ، وأحرقه المسلمون، وقتل كل من به.

فلما فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأن المدينة قد ملكت من الجانب الآخر ، وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون فيه المسلمين ، واحتمى جماعة من الناس بمحراب داود فاعتصموا به ، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام ، فبذل لهم الفرنج الأمان ، فسلموه إليهم ، ووفى لهم الفرنج ، وخرجوا ليلاً إلى عسقلان فأقاموا بها.

وقتل الفرنج ، بالمسجد الأقصى ، ما يزيد على سبعين ألفًا ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبادهم ، وزهادهم ، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف ، وأخذوا من عند الصخرة نيفًا وأربعين قنديلاً من الفضة ، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنورًا من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً نقرة ، ومن الذهب نيفًا وعشرين قنديلاً ، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء.

وورد المستنفرون من الشام ، في رمضان ، إلى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهروي ، فأوردوا في الديوان كلامًا أبكى العيون ، وأوجع القلوب ، وقاموا بالجامع يوم الجمعة ، فاستغاثوا ، وبكوا وأبكوا ، وذكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظم من قتل الرجال ، وسبي الحريم والأولاد ، ونهب الأموال ، فلشدة ما أصابهم أفطروا ، فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني ، وأبو بكر الشاشي ، وأبو القاسم الزنجاني ، وأبو الوفا بن عقيل ، وأبو سعد الحلواني ، وأبو الحسن بن سماك ، فساروا إلى حلوان ، فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني ، على ما نذكره ، فعادوا من غير بلوغ أرب ، ولا قضاء حاجة .

واختلف السلاطين على ما نذكره ، فتمكن الفرنج من البلاد ، فقال أبو المظفر الآبيوردي ، في هذا المعنى ، أبياتا منها:

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة المراحم[1]

... وذكر واحدًا وعشرين بيتًا من هذه القصيدة .

---

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠/٢٨٢-٢٨٦، طبع دار صادر بيروت وستأتي القصيدة كاملة كوثيقة.



٢ـ وصف ابن تغري بردي للاحتلال الصليبي للقدس

" وأما أخذ بيت المقدس فكان يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سنة ٤٩٢هـ وهو أن الفرنج ساروا من أنطاكية ، ومقدم الفرنج في كندهري في ألف ألف ، منهم خمسمائة ألف مقاتل فارسي ، والباقون رجالة وفعلة ، وأرباب آلات من مجانيق وغيرها ، وجعلوا طريقهم على الساحل ، وكان بالقدس افتخار الدولة من قبل المستعلي خليفة مصر صاحب الترجمة ، فأقاموا يقاتلون أربعين يومًا ، وعملوا برجين مطلين على السور : أحدهما بباب صهيون حتى ألصقوه بالسور وحكموا على البلد ، وكشفوا من كان عليه من المسلمين ، ورموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد ، فانهزم المسلمون ، فنزلوا إلى البلد ، وهرب الناس إلى الصخرة والأقصى واجتمعوا بها ، فهجموا عليهم ، وقتلوا في الحرم مائة ألف ، وسبوا مثلهم ، وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء... ولما تمت هذه الحادثة ، خرج المستنفرون من دمشق مع قاضيها زين الدين أبي سعد الهروي [1] ، فوصلوا بغداد وحضروا في الديوان وقطعوا شعورهم ، واستغاثوا وبكوا ، وقام القاضي في الديوان ، وقال كلامًا أبكى الحاضرين ، وندب من الديوان من يمضي إلى العسكر السلطاني (جيش الخلافة) ويعرفهم بهذه المصيبة ، فوقع التقاعد لأمر يريده الله...[2]

---

(١) هو محمد بن نصر بن منصور ، فقيه مشهور ، ولي القضاء في بلاد العجم ، وفي دمشق وبغداد ، توفي عام ٥١٥هـ [راجع طبقات الشافعية ٧/٢٢].

(٢) راجع النجوم الزاهرة جـ٥ صـ١٥٠-١٥١، طبع دار الكتب المصرية.



٣ـ وصف ابن كثير الدمشقي للاحتلال الصليبي للقدس

لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، أخذت الفرنج بيت الله بيت المقدس – شرفه الله – ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا وفي وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ، وجلسوا خلال الديار ، وتبروا ما علوا تتبيرا ، قال ابن الجوزي : وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلا من فضة ، زنة كل واحد منهم ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنورًا من فضة زنته أربعون رطلاً بالشامي ، وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب ، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم القاضي أبو سعد الهروي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاما قرئ في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى بلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئا ، فإنا لله وإن إليه راجعون. [1]

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) ١٢/١٥٦-١٥٧، طبع مكتبة المعارف،بيروت،ط٢ سنة ١٩٧٧م.



٤- وثيقتان شعريتان في وصف الاحتلال الصليبي للقدس

أولا : قصيدة الأبيوردي :

وقال أبو المظفر الأبيوردي لما استولى الفرنج على بيت المقدس في سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة قصيدة :(*)

١) مزجنا دماء بالدموع السواجم	فلم يبق منا عرضة للمراحم
٢) وشر سلاح المرء دمع يفيضه	إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
٣) فإيها بني الإسلام إن وراءكم	وقائع يلحقن الذرا بالمناسم
٤) أتهويمة في ظل أمن وغبطة	وعيش كنور الخميلة ناعم
٥) وكيف تنام العين ملء جفونها	على هفوات أيقظت كل نائم
٦) وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
٧) تسومهم الروم الهوان وأنتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
٨) وكم من دماء قد أبيحت ومن دمي	تواري حياء حسنها بالمعاصم
٩) بحيث السيوف البيض محمرة الظبا	وسمر العوالي داميات اللهاذم

(*) هذه ديباجة نهاية الأرب . والقصيدة من البحر الطويل ، والقافية من المتدارك .

(١) تاريخ الخلفاء : عرضة للمراجم . والعجز في النهاية : فلم يبق منها عرضة المزاجم . وفي مختصر أخبار الخلفاء : فلم يبق فيها عرضة للمزاحم.

(٣) تاريخ الخلفاء : يلحقن الردى.

(٤) فيه : أنائمة في ظل.

(٥) فيه وفي النهاية ومختصر أخبار الخلفاء : على هبوات.

(٦) مختصر أخبار الخلفاء : أضحى مقيلهم.

(٧) فيه وفي النهاية : يسومهم.

(٨) مختصر أخبار الخلفاء : فكم .

١٠) وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة … تظل لها الولدان شيب القوادم

١١) وتلك حروب من يغب عن غمارها … ليسلم يقرع بعدها سن نادم

١٢) سللن بأيدي المشركين قواضبا … ستغمد منهم في الطلى والجماجم

١٣) يكاد لهن المستجن بطيبة … ينادي بأعلى الصوت : يا آل هاشم

١٤) أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا … رماحهم ، والدين واهي الدعائم

١٥) ويجتنبون النار خوفا من الردى … ولا يحسبون العار ضربة لازم

١٦) اترضى صناديد الأعاريب بالأذى … ويغضي على ذل كماة الأعاجم

١٧) فليتهم إذ لم يذودوا حمية … عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

١٨) وإن زهدوا في الأجر إذ حمس الوغى … فهلا اتوه رغبة في الغنائم

١٩) لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى … فلا عطسوا إلا بأجدع راغم

٢٠) دعوناكم والحرب ترنو ملحة … إلينا بألحاظ النسور القشاعم

٢١) تراقب فينا غارة عربية … تطيل عليها الروم عض الأباهم

٢٢) فإن انتم لم تغضبوا بعد هذه … رمينا إلى أعدائنا بالجرائم

---

(١٢) في النهاية : يكاد بهن

(١٤) فيه : من العدا.

(١٦) في تاريخ الخلفاء: الأعارب وفيه وفي النهاية ومختصر أخبار الخلفاء: وتغضي.

(١٨) في النهاية : جمش الوغى ..المغانم ، وحمس الوغى: اشتد ، وكذا جمش .

(١٩) في النهاية : الخياشيم للثرى.

(٢٢) فيه: عند هذه رمتنا.



قصيدة ابن الخياط (٤٧٨ - ٥٤٨هـ):

قال يمدح الملك عصب الدولة ويحضه على الجهاد ، وذكر أنه عمل هذه القصيدة في ليلة واحدة :

فدتك الصواهل قبا وجردا وشم القبائل شيبا ومردا
وذلت لأسيافك البيض قضبا ودامت لأرماحك السمر ملدا
وقل لمن قام في ذا الزمان مقامك ان بات بالخلق يفدا
ألست أبر البرايا يدا وأندى من المزن كفا وأجدا
وأمضى حساما وأوفى ذماما وأهمى غماما إذا الغيث أكدا

....

وإني لمهد إليك القريـ ـض يطوي على النصح والنصح يهدا
إلى كم وقد ذخر المشركون بسيل يهال له السيل مدا
وقد مد من أرض إفرنجة جيوش كمثل جبال تردا
تراخون من يجتري شدة وتنسون من يجعل الحرب نقدا
أنوما على مثل هد الصفاة وهزلا وقد أصبح الأمر جدا
وكيف تنامون عن أعين وترتم فاسهرتموهن حقدا
وشر الضغائن ما أقبلت لديه الضغائن بالكفر تحدا
بنو الشرك لا ينكرون الفساد ولا يعرفون مع الجور قصدا
ولا يردعون عن القتل نفسا ولا يتركون من الفتك جهدا
فكم من فتاة بهم أصبحت تدق من الخوف نحرا وخدا
وأم عواتق ما إن عرفـ ـن حرا ولا ذقن في الليل بردا

تكاد عليهن من خيفة ... تذوب وتتلف حزنا ووجدا

فحاموا على دينكم والحريم ... محاماة من لا يرى الموت فقدا

فسدوا الثغور بطعن النحور ... فمن حق ثغريكم أن يسدا

فلن تعدموا في انتشار الأمور ... أخا تدرا حازم الرأي جلدا

يظاهر تدبيره بأسه ... مظاهر السيف كفا وزندا

كمثل زعيم الجيوش المليّ ... بعزم يبيت له الحزم ردا

وعادات بأسكم في اللقا ... ء ليست تحول عن النصر عهدا

فدونكم ظفرا عاجلا ... لكم جاعلا سائر الأرض مهدا

فقد أينعت أرؤس المشركين ... فلا تغفلوها قطافا وحصدا

فلابد من حدهم أن يفلا ... ولابد من ركنهم أن يهدا [1]

...... وأخذ يمدحه ، ويرثي سابقه.

(١) ديوانه تحقيق أ/خليل مروم بك ، صـ ١٨٢-١٨٧، طبع دار صادر بيروت ط٢ سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.



ثالثا : وثائق أدبية في تصوير التحرير الإسلامي للقدس
(فتح بيت المقدس شرفة الله تعالى)

قال القاضي ابن شداد لما تسلم السلطان والأماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصده ، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد قضاء لبانتها من النهب والغارة فسار نحوه معتمدًا على الله مفوضًا أمره إلى الله ، منتهزًا فرصة فتح باب الخير الذي حث على انتهازه إذا فتح بقوله ﷺ : (مَنْ فَتَحَ بَابَ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَم مَتَى يُغْلَقَ دُونَهُ) وكان نزوله عليه – قَدَّس الله روحه – يوم الأحد الخامس عشر من رجب ، فنزل بالجانب الغربي ، وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة ، ولقد تحازر أهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد عن ستين ألفًا ما عدا النساء والصبيان ، ثم انتقل رَحِمَهُ اللهُ لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب عليه المنجنيقات ، وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم في فرنة شمالية . ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع وظهرت لهم أمارات نصرة الحق على الباطل ، وكان قد ألقي الله في قلوبهم مما جري على أبطالهم ورجالهم من السبي والقتل والأسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ ، علموا أنهم إلى ما صاروا إليه صائرون ، وبالسيف الذي قتل به إخوانهم يقتلون ، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان ، واستقرت القاعدة بالمراسلة بين الطائفتين ، وكان تسلمه له يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد ، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب ، كيف يسر الله عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء

بنبيهم ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى قلت هذا أحد الأقوال في ليلة المعراج ، وفي ذلك اختلاف كثير ذكرنا في مواضع غير هذا والله أعلم ، ثم قال القاضي : وكان فتحاً عظيمًا شهده من أهل العلم خلق عظيم ومن أرباب الخرق والحرف ، وذلك أن الناس لما بلغهم ما من الله به على يده من فتوح الساحل شاع قصده للقدس فقصده العلماء من مصر والشام حيث لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير ، وخطب فيه وصليت فيه يوم الجمعة يوم فتحه وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلاً عظيمًا ، ونصر الله الإسلام نصر عزيز مقتدر ، وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارًا واحدًا قلت كذا قال ، وسيأتي في كلام العماد أن على كل صغير دينارين ، وكذا قال يوم الجمعة صليت ببيت المقدس يوم فتحه وسيأتي في كلام العماد التصريح بأن يوم الفتح ضاق عن ذلك فصليت في يوم الجمعة الآتي ثم قال القاضي فمن أحضر القطيعة سلم بنفسه وإلا أخذ أسيرا ، وفرج الله عمن كان فيه من أسرى المسلمين وكانوا خلقًا عظيمًا زهاء ثلاثة آلاف نفس ، وأقام – عليه رحمة الله – يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء ، ويوصي من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه . وهو صور. وقال : ولقد بلغني أنه رَحِمَهُ اللَّهُ رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء وكان مائتي ألف دينار وعشرين ألفًا ، وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي. (١)

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ٢/٩٢،طبع دار الجيل ، بيروت ، لبنان .د.ت.



وصف العماد الأصفهاني للفتح الخالد

(فصل) هذا الذي ذكره القاضي في أمر فتح بيت المقدس مختصرًا مجموعًا وقد بسطه العماد فقال رحل السلطان من عسقلان للقدس طالبًا ، وبالعزم غالبًا وللنصر مصاحبًا ، ولذيل العز ساحبًا ، والسلام يخطب من القدس عروسًا ويبذل لها في المهر نفوسًا ويحمل إليها نعمي ليحمل عنها بؤسي ، ويهدي بشرى ليذهب عبوسًا ، ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لأعدائها على أعدائها ، وإجابة دعائها وتلبية ندائها ، وإطلاع زهر المصابيح في سمائها وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه ، ورده إلى سكونه وسكنه ، وإقصاء أعداء الدين أقصاهم الله تعالى بلعنته من الأقصى ، وجذب قياد فتحه الذي استعصى وإسكات الناقوس منه بانطلاق الآذان وكف كفا الكفر عنه بإيمان الإيمان وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس وأدناس أدنى الناس ، وطار الخبر إلى القدس فطارت قلوب من به غبار وأطاشت ، وخفقت أفئدتهم خوفا من جيش الإسلام وجاشت ، وتمنت الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت ، وكان به من مقدمي الفرنج باليان بن بارزان وهو وملكهم في التسلط شيئان بارزان ، والبطرك الأعظم وهو النيشاني العظيم الشأن ، والذين أعطتهم حياطة حطين به من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية من ذوي الكفر والشنآن ، وقد حشروا وحشدوا ونشروا ونشدوا ، وحميت حميتهم ، وأتت الضيم آتيتهم ، وحارت غيرتهم وغارت حيرتهم ، وتبلدوا وتلددوا ، وقاموا وقعدوا ، وصوبوا وصعدوا فاشتعل بال باليان واشتعل بالنيران وخمدت نار بطر البطرك وضاقت بالقوم منازلهم ، فكانت كل دار منها شركا للمشرك ، وقاموا للتدبير في مقام الأدبار



وتقسمت أفكار الكفار ، ويئس الفرنج من الفرج ، وأجمعوا على بذل المهج ، وقالوا : هاهنا نطرح الرؤوس ونسلوا النفوس ونسفك الدماء ونهلك الدهما ونصبر على انتراح القروح واجتراح الجروح ، ونسمح بالأرواح شحا بمعجل الروح ، فهذه الأماكن فيها قامتنا ومنها تقوم قيامتنا وتصيح هامتنا وتصح أمتنا وتسيح علامتنا وبها غرامنا وعليها غرامتنا وبإكرامها كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وباستقامتها استقامتنا وفي استدامتها استدامتنا ، وإذا تخلينا عنها أزمت لامتنا ووجبت ملامتنا ففيها المصلب والمطلب ، والمذبح والمقرب ، والمجمع والمعبد ، والمهبط والمصعد ، والمرقى والمرقب ، والمشرب والملعب ، والمحق والمذهب والمطلع ، والمقطع بالمربى والمربع والمرخم والمخرم والمحلل والمحرم والصور والأشكال والأنظار والأمثال والأشياء والأشباح والأعمدة والألواح والجسام والرواح وفيها صور الحواريين في حوارهم والأحبار في أخبارهم والراهبين في صوامعهم والإقساء في مجامعهم والسحرة وحيالها ومثال السيدة والسيد والهيكل والمولد والمائدة والحوت والمنعوت والمنحوت والتلميذ والمعلم والمهد والصبي المتكلم وصورة الكبش والحمار والجنة والنار والنواقيس والنواميس ، قالوا : وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت وتأله الناسوت واستقام التركيب وقام الصليب ونزل النور وزل الديجور وازدوجت الطبيعة بالأقنوم وامتزج الموجود بالمعدوم وعمدت معمودية المعبود ومخضت البتول بالمولود وأضافوا إلى متعبدهم من هذه الضلالات ما ضلوا فيه بالشبه عن نهج الدلالات وقالوا دون مقبرة ربنا نموت وعلى الخوف ودعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا وتأهبوا وتباهوا وما انتهوا بل تناموا ونصبوا المجانيق على الأسوار وستروا بظلمات الستائر وجوه الأنوار ، واستشاطت



شياطينهم وسرحت سراحينهم وطغت طواغيتهم وأصلتت مصاليتهم وهاج هائجهم وماج مائجهم وحضتهم قسوسهم وحرضتهم رؤوسهم وحركتهم نفوسهم . وجاءتهم بنجوى السوء جواسيسهم ، ونصبوا على كل نيق منجنيقا ، وحفروا في الخندق حفرًا عميقًا وشادوًا في كل جانب ركنًا وثيقًا وفرقوا على كل برج فريقًا وجعلوا إلى كل طارق بالردى للرد طريقًا وأعادوا كل نهج واسع بما وعروه وعوروه به مضيقًا ، وتحمل كل منهم ما لم يكن له من قبل مطيقًا وخرج جماعة منهم على سبيل اليزك فأدلجوا ليلاً واعترضوا عدة من أصحابنا غارة على طريق السلامة مارة وكان قد شد من المقدمة المنصورة أمير تقدم وما تحرز ولا تحزم وما ظن أن قدامه من له جراءة الإقدام ومن يعتقدان أن ربح كفرة خسارة الإسلام وهو الأمير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري فوقعوا عليه في موضع يعرف بالقبيبات فاستشهدوا رحمة الله ولما بلغ السلطان خبره ساءه وغمه ثم أقبل بإقبال سلطانه وأبطال شجعانه وأقيال أولاده وإخوانه وأشبال مماليكه وغمامة وكرام أمرائه وعظام أوليائه ، وأصبح يسأل عن الأقصى وطريقه الأدنى وفريقه الأسنى ويذكر ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من الحسنى ، وقال إن أسعدنا الله على إخراج أعدائه من بيته المقدس فأسعدنا وأي يدله عندنا إذا أيدنا وأنه مكث في أيدي الكفر إحدى وتسعين سنة لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ودامت همم الملوك دونه متوسنه وخلت القرون عنه متخلية ، وخلت الفرنج به متولية فما ادخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب ليجمع الله لهم بالقبول القلوب وكيف لا يهتم بفتح المقدس الأقوى والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى ، وهو مقام الأنبياء وموقف الأولياء ومعبد الأتقياء ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء ومنه المحشر والمنشر ويتوافد إليه من أولياء الله المعشر بعد

المعشر وفيه الصخرة التي صينت جدة أبهاجها من الأنهاج ومنها منهاج المعراج لها القبة الشماء التي هي على رأسها كالتاج وفيه ومض البارق ومضي البراق وأضاءت ليلة الإسراء يحاول السراج المنير فيه الآفاق ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول إلى الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وفيه عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود ، وهو أول القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي إنها تشد إليها الرحال وتعقد الرجاء بها الرجال ولعل الله يعيده بنا إلى أحسن صورة كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ وله فضائل ومناقب لا تحصي ومنه كان الإسراء ولأرضه فتحت السماء ، وعنه تؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء ومشاهد الشهداء وكرامات الكرماء وعلامات العلماء وفيه مبارك المبار ومسارح المسار وصخرته الطولى والقبلة الأولى ، ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة العلوية ، وعندها صلى نبينا بالنبيين وصحب الروح الأمين ، وصعد منها إلى أعلى عليين ، وفيه محراب مريم – عليها السلام – الذي قال الله فيه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ ولنهاره التعبد ولليله المحيا ، وهو الذي أسسه داود وأوصى ببنائه سليمان ، ولأجل إجلاله أنزل الله ﷻ وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة الفرقان ، فما أجله وأعظمه وأشرفه وأفخمه وأعلاه وأحلاه وأسناه وأكرمه ، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه ، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه وأزين مباهجه وأبهج مزاينه ، وقد أظهر الله طوله وطوله بقوله ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ ، وكم فيه من الآيات التي أراها الله نبيه وجعل



مسموعاتنا من فضائله مرويه ، ووصف السلطان من خصائصه ومزاياه ما وثق على استعادة الآية مواثيقه وآلاه وأقسم لا يبرح حتى يبر قسمه ، ويرفع بأعلاه علمه وتخطر إلى زيارة موضع القدم النبوية قدمه ، وتصغى إلى صرخة الصخرة أذنه وسار واثقا بكمال النصرة. [1]

* * *

خطبة الجمعة الأولى في القدس

(فصل) في إيراد ما خطب به القاضي محي الدين رحمه الله قال العماد وخطب القاضي محي الدين بن زكي الدين أربع خطب في أربع جمع كلها من إنشائه وأودعها سر بلاغة عنيت بإفشائه وذكرت الخطبة الأولي وبدا لفصاحة فيها طولى افتتحها بهذه الآيات :

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...الآية﴾ ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ ، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

والخطبة هي :

" الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله

(١) كتاب الروضتين ٢/٩٣-٩٤.

وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمنع ، والظاهر على خليقته فلا ينزع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع . أحمده على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ، ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره . حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الصمد الذي لم ولم يولد ولك يكن له كفوا أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله ، رافع الشك وداحض الشرك وداحض الإفك ، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى وعرج به منه إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى عندها الجنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى ، صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته أبو بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العالية لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها إلى مقرها الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبًا من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه ، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستعمر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بني عليه بالتقوى فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن أبيكم إبراهيم



ومعراج نبيكم محمد ﷺ ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومقر الرسل ومهبط الوحي ومنزل الأمر والنهي ، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله ﷺ بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذي شرفه برسالته وكرمه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته ، فقال تعالى ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ ، وقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ، وهو أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، لا تشهد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ولا تعتقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ولا يباريكم في شرفها مبار ، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية ، فجازاكم الله عن نبيه محمد ﷺ أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء وأثابكم الجنة فهي دار السعداء.

فاقدروا – رحمكم الله – هذه النعمة حق قدرها ، وقوموا الله تعالى بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتبجلت بأنواره وجوه

الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرَّ به عينًا الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة إعلام الإيمان ، فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء أكثر من التهاني بين أهل الغبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في خطابه فقال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ ، أليس هو البيت الذي عظمته الملوك وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم ﷻ أليس هو البيت الذي أمسك الله ﷻ الشمس على يوشع لأجله أن تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسير فتحه ويقرب ، أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه لاستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان وغضب عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان ، فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين ، ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى.

فلا يهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد أن كنتم جنودًا لا هوية لكم جنده ، وشكركم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد ، وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى والشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث ، فالآن يستغفر لكم أملاك السموات وتصلي عليكم الصلوات المباركات.



فاحفظوا – رحمكم الله – هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقري والنكول عن العدا ، وخذوا في انتهاز الفرصة وإزالة ما بقي من الغصة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وأياكم أن يستذلكم الشيطان وأن يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد وبخيولكم الجياد وبجلادكم في مواطن الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.

واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين أن تقترفوا كبيرًا من مناهيه وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

والجهاد هو من أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله يذكركم ، اشكروا الله يزيدكم ويشكركم ، جدوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفر ، واعلموا – رحمكم الله – أن هذه الفرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فأخرجوها هممكم وأبرزوها وسيروا إليها عزماتكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم أو يزيدون

فكيف وقد أضحى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد قال الله تعالى ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ .

أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ .

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة ، وقال بعد الدعاء للخليفة :

اللهم وأدم سلطاننا عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك سيفك القاطع وشهابك اللامع ، والمحامي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك الممانع ، السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الإيمان وقامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام ، مطهر بيت المقدس أبا المظفر يوسف بن أيوب محي الدين دولة أمير المؤمنين ، اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه ، اللهم أبق للإسلام مهجته ووق للإيمان حوزته ، وانشر في المغارب والمشارق دعوته ، اللهم فكما فتحت على يده البيت المقدس بعد أن ظنت الظنون وابتلي المؤمنون ، فافتح على يده أداني الأرض وأقاصيها وملكه ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ولا جماعة إلا فرقها ولا طائفة إلا ألحقها بمن سبقها ، اللهم اشكر عن محمد ﷺ سعيه ، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه ، اللهم أصلح به أوساط البلاد وأطرافها وأرجاء الممالك وأكنافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفار وأرغم به أنوف الفجار وانشر ذوائب ملكه على الأمصار وأثب سرايا جنوده في سبل الأقطار ، اللهم ثبت فيه وفي عقبه



إلى يوم الدين واحفظه في بنيه وبني أيوب الملك الميامين ، واشدد عضده ببقائهم واقض بإعزازه أوليائه ، اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقي على الأيام وتتخلد على مر الشهور والأعوام فارزقه الملك الذي لا ينفذ في دار المتقين ، وأحب دعاءه في قوله ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ . ثم ما جرت العادة به [1]

* * *

رسائل سلطانية في التبشير بالفتح الخالد

(فصل) قال العماد : وكان المولى الأجل الفاضل متأخرًا بدمشق يعارض مرض من الله بشفائه ، فمن جملة ما كتب السلطان إليه :

١) « أما الفتح فمن جملة بركات همته وآثار جذبات عزمه ، فإن الله تعالى سهل ما سجل أهل الدهر بأنه صعب ، واهب نسيم النصر أيان يقال ليس له مهب ، وخصنا بهذا الشرف وألحقنا في هذه الفضيلة بصالحي السلف ، وقد بدل الكفر بالإيمان والناقوس بالآذان وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان ، وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان ، وتزاحم الخارجون من البلاد من الفرنج والنصارى في دخول أبواب النيران ، وصلى محارب الدين في المحراب ورفع الملائكة ما كان تكاثف بأنفاس الكفر من الحجاب ، وغسلت الصخرة المباركة من أوضارها بماء

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٠-١١٢.

العيون الفائض الفائق غزارة الأمواه ، وقبلت بالشفاه ، وبوشرت بالأفواه وطهرت بأهل العلم والحلم من أدناس أهل الجهل والسفاه.

والحمد لله ثم الحمد لله ، وما كان يعوزنا ويعوزه إلا حضور المجلس السامي أسماه الله ، فما لهذا الأمر رواء إلا بروائه ، ولا للإنس لقاء إلا بأنس لقائه ، وكاد يتصحف الفتح لولا صالح دعائه وحسن آلائه.

والحمد لله الذي خصنا بهذه الخاصية وفضلنا بالنصرة القدسية ، وذخر لنا هذا البر الذي عجز بل قصر عنه ملوك البرية ، والحمد لله على هذه النعمة السنية ، فما أشوقنا وأشوق القدس إلى قدومه ، وما أظمأنا وأظمأه إلى خصوص الري به وعمومه ، ويلحظ هذا البيت الذي هو أخو البيت الحرام من زيارته ، وما آنق روضه وأوفق رضاه إذا فاز بنظره ونضارته ، ونحن نعرف أن همته العالية تحدوه ، وأن رغبته إلى إجابة دعوته تدعوه ، ونسأل الله أن يكمل صحته وينعش قوته ويقوي نهضته وما أقمنا بهذا البلد إلا لتطهيره وترتيب أمره وتدبيره)).

٢) **ومن كتاب آخر:** (نصرنا الله بملائكته المسومين وأوليائه المؤمنين ، واستخلصنا بتأييده البلاد وانتزعناها وافتضضنا بالبيض الذكور من الحرب العوان أبكار الفتوح وافترعناها ، وهذه موهبة مذهبة ومنقبة لا يبلغ إلى وصفها بلاغة موجزة ولا مسهبة ، ونوبة ما بعدها للإسلام نبوة وحظوة في مذاق أهل التقوى والمغفرة حلوة ، وبشرى تجلو الوجوه ببشرها وتضوع مهاب المحاب بنشرها ، ويعرف أهل الشرق والغرب مجال غربها ، وتقرعين المؤمنين في البعد والقرب بأنوار قربها ، عاد التقديس إلى الأرض التي به وصفت ، وأحاطت البركة بالبقعة التي بقوله



تعالى ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ عرفت ، وظهرت الصخرة المقدسة وطهرت وزهيت أيا من هذه الأيام وزهرت وقعت الطائفة الطاغية من أهل التثليث بأهل التوحيد وقهرت واستبشر المنبر والمحراب وخطيبه وإمامه ، وافتخر الزمان بعصر مولانا أمير المؤمنين وأيامه.

وقد تملكنا البلاد الساحلية وتسلمناها حصناً حصنًا ، ونقضنا من الكفر ركاركًا وأجلينا الكفار منها فاجتلينا بها من الحسنى حسنى ، فتح شرف الله به هذه الأمة وجلا به الغمة وكشف الملمة ، بل شرفنا بفخره وأعدنا لذخره ، وخصنا بفضيلته في عصره وأجرى لنا ما كان قد أبطأ من عادة نصره.

أوقع بأهل دينه من عساكرنا أهل كفره ، وقامت بواترنا بوتره وغرق البلاد الساحلية من دم الكفار ببحره ، وأصرخت الصخرة وحفت بها النصرة ، وزالت عنها المضرة ، وعادت إليها المبرة ، ونعشت منها العثرة ، وفاضت لها من عين المؤمنين العبرة ، وزفت عبوسها البكر محصنة لم تفض منها العذرة ، وحالت العرة ولاحت الغرة ، وظهرت من صدف قبتها الدرة ، وصوفحت آثار القدم النبوية بالإيمان ، وجددت بعهدها صفقة الإيمان ، وبطل الناقوس بحق الأذان ، وفتحت أبواب الجنان لأهلها وأخرج منها أهل ، النار والحمد لله على هذا الإحسان حمدًا مستمرًا على مر الزمان).

٣) ومن كتاب إلى سيف الإسلام باليمن : (فتح بيت المقدس الذي غلق نيفًا وتسعين سنة مع الكفر رهنه ، وطال في أسره سجنه ، واستحكم وهنه ، وقوي سكره وضعف ركنه ، وزاد حزنه وزال حسنه ، وأجدبت من

الهدى أرضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوفه وفارقه أمنه ، واشتغل خاطر الإسلام بسببه وساءه حزنه ، وذكر فيه الواحد الأحد الذي تعالى عن الولد أن المسيح ابنه ، وربع فيه التثليث فعز صليبه وصلبه وأفرد التوحيد فكاد يهي متنه ، ودرج الملوك المتقدمون على تمني استنقاذه ، فأبى الشيطان غير استيلائه واستحواذه ، وكان في الغيب الإلهي أن معاده في الآخرة معاذه ، وطنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس ، وجليت الصخرة المقدسة جلوة العروس ، وزارها شهر رمضان مضيفًا لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتروايح).

٤) **ومن كتاب آخر :** (البيت المقدس صار مقدسًا وأصبح للإسلام معرسًا ، ورجع أهل التقوى إليه فقد كان بها مؤسسًا ، وخرس الجرس وذهب الدنس وبطل الناقوس وخرج القسوس ، وزال الأذى بالآذان وصوفحت الصخرة المقدسة بإيمان أهل الإيمان ، وما صلت في محراب البيت المقدس الثقاة حتى صلت في محاريب رقاب الكفر المشرفيات ، وما تم الرضا بفتح المسجد الأقصى حتى أقصى منه من أقصاه الله عن رضاه ، وما تبوأ المسلم المصلي فيه مثواه من الجنة حتى تبوأ الكافر المصلي بالنار مثواه ، صوفح موضع القدم المباركة ليلة المعراج بالأيدي ، وقال لأولياء الله أهل الإخلاص أهلاً بكم ، فما أحسن الإخلاص من ولاية أهل التعدي ، وعاد المسجد الأقصى للمصلين المقربين جنةً ومنارًا بعد أن كان للمقصين المصلين نارًا دارًا ، وتسلم محراب الإسلام محرابه ، وأصحب لآلافه لما ألفي أصحابه ، وترنح المنبر لترنم الخطيب وانجبر الدين بانكسار صلب عبد الصليب السليب ، وخلا باله من أمر القدس بإعادته



إلى قدسه وإخلائه من رجز الشرك ورجسه وإجلاء داويه واسبتاره وبطركه وقسه وتعويضه من وحشة الضلال من الهدى بأنسه ، ورد الإسلام الغريب ونفي الكافر منه ، وكاسف البال راغم المعطس ، ونصب المنبر للمسجد الأقصى لإقامة الخطبة الإمامية ، ورفع ما رفع من الأعلام العباسية والإفراج عن محرابه بهدم ما بني دونه من مباني الشرك ، وكشف أستار الكفرة التي حجبت بالهتك والفتك وإقامة الجمع فيه والجماعات وإدامة أوراد العبادات به ووظائف الطاعات ، وغسل الصخرة المقدسة بدم الكافر ودمع المؤمن ، ونزع لباس بأس المسيء عنها بإفاضة ثوب ثواب المحسن ، وتنزيل تلك الجنة من دنس أهل النار وإعلاء ما كان درس من معالم الأبرار ومطالع الأنوار ، وقد رجع الإسلام الغريب منه إلى داره ، وخرج قمر الهدى به من سراره ، وذهبت ظلم الضلالة بأنواره ، وعادت الأرض المقدسة إلى ما كانت موصوفة به من التقديس ، وأمنت المخاوف فيها وبها ، فصارت صباح السري ومناخ التعريس . وقد أقصى عن المسجد الأقصى الأقصون من الله الأبعدون ، وتوافد إليه المصطفون الأقربون والملائكة المقربون ، وخرس الناقوس بزجل المسبحين ، وخرج المفسدون بدخول المصلحين ، وقال المحراب لأهله مرحبا وأهلا ، وشمل جماعة المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شملا ورفعت الأعلام العباسية على منبره فأخذت من بره أوفى نصيب وتلت بالسنة عذرها ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين ، وبعد أهل الأحد من قربها بقرب الموحدين ، فذكر بها ما كاد ينسى من عهد المعراج

النبوي ، وأقامت بدلائلها براهين الإعجاز المحمدي ، عاد الإسلام بإسلام البيت المقدس إلى تقديسه ، ورجع بنيانه من التقوى إلى تأسيسه ، وزال ناموس ناقوسه ، وبطل بنص النصر قيامن قسيسه ، وفتح باب الرحمة لأهلها ، ودخلت فيه الصخرة لفضلها ، وباشرت الجباه بها مواضع سجودها ، وصافحت أيدي الأولياء آثار القدم النبوية بتجديد عهودها ، وشهد مقام المعراج وموطئ برأته ، ورأى نور الإسراء ، ودنا المسجد الأقصى للراكع والساجد ، وامتلأ ذلك الفضاء بالأتقياء الماجد).

٥) **ومن كتاب فاضلي (*) إلى بغداد :** (تقلص ظل الكافر المبسوط ، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط ، وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة وأدلجت السيوف والآجال نائمة ، واسترد المسلمون تراثًا كان عنهم آبقًا ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفًا على النائم طارقًا) (١) ....إلخ

* * *

وصف ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) للتحرير الإسلامي للقدس

فتح بيت المقدس في هذه السنة [٥٨٣ هـ].

" واستنقاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة ".

لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم ، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس ، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب

(*) أي كتبه الأديب البليغ القاضي الفاضل .

(١) كتاب الروضتين ٢/٩٩-١٠٠.



من هذه السنة - أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل ، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يقال له بالبان بن بارزان ، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان ، من الداوية والاستثارية أتباع الشيطان ، وعبدة الصلبان ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلم كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه ، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال ، والجلاد والنزال ، وقاتل الفرنج دون البلد قتالا هائلا ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقمامتهم ، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين ، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين ، واجتهدوا في القتال ونصب المناجنيق والعرادات على البلد ، وغنت السيوف والرماح الخطيات ، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقا وشدة التشمير ، وكان ذلك يومًا عسيرًا على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعلقها وحشاها وأحرقها ، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فإذا هو واجب .

فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع ، والخطب المؤلم الوجيع ، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان ، فامتنع من ذلك وقال : لا أفتحها إلا عنوة ، كما افتتحتموها أنتم عنوة ، ولا أترك بها أحدًا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين ، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه ، فلما حضر ترقق للسلطان وذل ذلاً عظيمًا ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا إن لم تعطونا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا تقريبًا من أربعة آلاف - وقتلنا ذرارينا وأولادنا



ونسائنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من أموال ، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه ، ولا نبقي ممكنا في إتلاف ما نقدر عليه ، وبعد ذلك فنقاتل قتال الموت ، ولا خيرة في حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد حتى يقتل أعداد منكم ، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير.

فلما سمع السلطان أجاب إلى الصلح وأناب ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيرًا للمسلمين ، وأن تكون الغلال والأسلحة والدور للمسلمين ، وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم وهي مدينة صور . فكتب الصلح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يومًا فهو أسير، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب . قال العماد : وهي ليلة الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال في الإسراء ولم يتفق للمسلمين في صلاة الجمعة يومئذ خلافًا لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب محي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الذكي كما سيأتي قريبًا.

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخربت دور الداوية ، وكانوا قد بنوا غربًا المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشئًا لعنهم الله ، فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك



الفاخر ، وأبرزت للناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الناظرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وعادت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلموا منها قطعًا فباعوها لأهل البحور الجوانية بزنتها ذهبًا ، فتعذر استعادة ما قطع منها.

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقًا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المسامحة في كثير منهم ، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئًا مما يقتني ويدخر، وكان - رحمه الله - حليمًا كريمًا مقدامًا شجاعًا رحيمًا.

* * *

أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس ، ودخله أهل الإيمان ، ونودي بالآذان وقرئ القرآن ، ووحد الرحمن كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان ، بعد يوم الفتح بثمان ، فنصب المنبر إلى جانب المحراب ، وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلي التنزيل ، وجاء الحق وبطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجدات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزلت البركات ، وانجلت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس القسيسون ، وزال البؤس وطابت النفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع وسالت لرقة القلوب المدامع .

ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب فبرز من السلطان الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محي الدين بن الزكي خطيبًا ، فلبس الخلعة السوداء وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيها من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والإمارات . وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة في الروضتين بطولها وكأن أول ما قال :﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ثم أورد تحميدات القرآن كلها ، ثم قال :

" الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرك الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، [الذي] أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، شهادة من طهر التوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الإفك ، الذي أسري به من المساجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما



طغى ، صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تغبيط الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذي من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره ، وإنه أول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، وإليه أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأنبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم . قلت : ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بني الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود – عليهما السلام – كما ثبت فيه الحديث بالمسند والسنن ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمان عليه السلام عند فراغه منه خِلالا ثلاثاً : حكمًا يصادف حكمه ؛ وملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وأنه لا يأتي أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه به كيوم ولدته أمه.

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة الناصر العباسي ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين ، وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي

نجا المصري على كرسي الوعظ بإذن السلطان فوعظ الناس ، واستمر القاضي ابن زكي يخطب بالناس في الجمع ، ثم قرر السلطان للقدس خطيبًا مستقرًا ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه فما كان إلى على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته.

* * *

نكتة غريبة

قال أبو شامة في الروضتين : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في تفسيره الأول فقال : وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي – يعني ابن برجان – في أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال السخاوي : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم من قوله ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم  مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ فبنى الأمر على التاريخ ، كما يفعل المنجمون فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا ، ويغلبون في سنة كذا وكذا ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نجابة وافقت إصابة ، إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه ، وكان في كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات ، ولا ينال في حساب ، قال : وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه.

قلت : ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال : إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى



سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة ، فتهيأ لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبرًا عظيمًا لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم.

وأما الصخرة المعظمة فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان ، وطهرها بعد ما كانت جيفة ، وأظهرها بعد ما كانت خفية مستورة غير مرئية ، وأمر الفقيه عيسى الهكاري أن يعمل حولها شبابيك من حديد ، ورتب لها إمامًا راتبًا ، وقف عليه رزقًا جيدًا ، وكذلك إمام الأقصى ، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضًا ، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم ، ووقف على الصوفية رباطًا كان للتبرك إلى جنب القمامة ، وأجرى على الفقهاء والفقراء الجوامك ، وأرصد الختم والربعات في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة ، ليقرأ فيها المقيمون والزائرون وتنافس بنوا أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد ، وعزم السلطان على هدم القمامة وأن يجعلها دكا لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس فقيل [له] : إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو كانت قاعًا صفصفًا ، وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وترك هذه الكنيسة بأيديهم ولك في هذه أسوة ، فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسيًا بعمر ﷺ ، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها ، وحال بين النصارى وبينها وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة ، وعفا آثارها ، وهدم ما كان هناك من القباب ، وأما أساري المسلمين الذين كانوا بالقدس فأنه أطلقهم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم إعطاءات سنية ، وكساهم ، وانطلق كل منهم إلى وطنه ، وعاد إلى أهله ومسكنه ، فلله الحمد على نعمه ومننه .[1]

(١) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ١٢/٣٢٣-٣٢٧.

قصائد في تهنئة السلطان بفتح القدس

(فصل) قال العماد : من قصائدي التي هنأت بها السلطان بفتح القدس وهو مخيم عليه :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا ... وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا

واسأل عنكم عافيات دوارس ... غدت بلسان الحال ناطقة خرسا

معاهدكم ما بالها كعهودكم ... وقد كررت من درس آثارها درسا

وقد كان في حدسي لكم كل طارق ... وما جئتم من هجركم خالف الحدسا

أرى حدثان الدهر ينسي حديثه ... وأما حديث الغدر منكم فلا ينسى

تزول الجبال الراسيات وثابت ... رسيس غرام في فؤادي لكم أرسى

حسبت حبيبي قاسي القلب وحده ... وقلب الذي يهوي يحمل الهوى أقسى

أمالكم يا مالكي الرق رقة ... يطيب بها مملوككم منكم نفسا

وإن سروري كنت أسمع حسه ... فمذ سرت عنكم ما سمعت له حسا

وإن نهاري سار ليلا لبعدكم ... فما أبصرت عيني صباحا ولا شمسا

بكيت على مستودعات قلوبكم ... كما قد بكت قدما على صخرها الخنسا

فلا تحبسوا عني الجميل فإنني ... جعلت على حبي لكم مهجتي حبسا

رأيت صلاح الدين افضل من غدا ... واشرف من اضحى واكرم من أمسى

وقيل لنا في الأرض سبعة ابحر ... ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا

سجيته الحسنى وشيمته الرضى ... وبطشته الكبرى وعزمته القعسى

فلا عدمت أيامنا منه مشرقا ... ينير بما يولى لياليـنا الدمسا

جنودك أملاك السماء وظنهم ... عداتك جن الأرض في الفتك لا الإنسا



فلا يستحق القدس غيرك في الورى ... فأنت الذي من دونهم فتح القدسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا ... فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم ... فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها ... البستها الدين الذي كشف اللبسا
وعادت ببيت الله أحكام دينه ... فلا بطركا أبقيت فيها ولا قسا
وقد شاع في الآفاق عنك بشارة ... بأن أذان القدس قد بطل النقسا
جرى بالذي تهوي القضاء وظاهرت ... ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا
وكم لبني أيوب عبد كعنتر ... فإن ذكروا بالهاس لا يذكروا عبسا
وقد طاب ريانا على طبرية ... فيا طيبها مغني ويا حسنها مرسي
وعكا وما عكا فقد كان فتحها ... لإجلائهم عن مدن ساحلهم كنسا
وصيدا وبيروت وتبنين كلها ... بسيفك الفى أنفه الرغم والتعسا
ويافا وارسوف وتبني وغزة ... تخذت بها بين الطلي والظبي عرسا
وفي عسقلان الكفر ذل بملككم ... فمنظره بل أمره أريد وأرجسا
وصار بصور عصبة يرقبونكم ... فلا تبطئوا عنها وحسوهم حسا
توكل على الله الذي لك أصبحت ... كلاءته درعا وعصمته ترسه
ودمر على الباقين واجتث أصلهم ... فإنك قد سيرت دينارهم فلسا
ولا تنس شرك الشرق غيرك مرويا ... بماء الطلى من صاديات الظبى الخمسا
وإن بلاد الشرق مظلمة فخذ ... خراسان والنهرين والترك والفرسا
وبعد الفرنج الكرك فاقصد بلادهم ... بعزمك واملأ من دمائهم الرمسا
اقامت بغاب الساحلين جنودكم ... وقد طردت عنه ذئابهم الفلسا [1]

(١) كتاب الروضتين ٢/١٠١-١٠٢.

وهي طويلة وقد تقدم بعضها في ذكر كسرة حطين (1)

ومن قصيدة أخرى له أنفذها إلى الخليفة الناصر:

أبشر بفتح أمير المؤمنين أتى ... وصيته في جميع الأرض جواب

ما كان يخطر في بال تصوره ... واستصعب الفتح لما أغلق الباب

وخام عنه الملوك الأقدمون وقد ... مضت على الناس من بلواه أحقاب

وجاء عصرك والأيام مقبلة ... فكان فيه لفيض الكفر انضاب

نصر أعاد صلاح الدين رونقه ... إيجاز ببليغ القول إسهاب

قرع الظبي بالظبي في الحرب يطربه ... لا قينة صنع باللحن مطراب

أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه ... لقد تجلى الهدى والشرك منجاب

بفتحه القدس للإسلام قد فتحت ... في قمع طاغية الإشراك أبواب

ففي موافقة البيت المقدس للـ ... ـبيت الحرام لنا تيه وإعجاب

والصخر والحجر الملثوم جانبه ... كلاهما لاعتمار الخلق محراب

نفي من القدس صلبانا كما نفيت ... من بيت مكة الازم وانصاب (2)

* * *

قصة طريفة

قال أبو شامة:

حدثني بها شيخنا أبو الحسن على بن محمد السخاوي قال: قرأت بخط شيخنا أبي الفضائل بن رشيق بمصر عقيب موته في سنة ثلاث وسبعين

(1) راجع السابق ٢/٨٣-٨٤.

(2) السابق ٢/١٠٢-١٠٣.



وخمسمائة ، قال رأى إنسان كأن شخصًا ذا جهامة واقفًا على حائط بجامع دمشق يسمى النسر ، وهو يقول :

ملك الصياصي والصواصي ناصر ... للدين بعد إياسه أن ينصرا

وسيفتح البيت المقدس بعدما ... يطوي الطراز له ويقتل قيصرا

قلت: وهذا قبل أن يفتح صلاح الدين البلاد بعشر سنين ، وقرأت بخط بعض أصحابه قال : وجدت على حاشية كتاب يروي عن خطيب كان بالرقة أنه رأى من ينشده هذا الشعر في النوم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فذكر البيتين ، وهذا قبل الفتح باثنتين وخمسين سنة ، وقبل مولد صلاح الدين بسنة .

والمعنى بالطراز الأخضر بلاد الساحل المصطفة على بلاد البحر من الدوارم وغزة وعسقلان وعكا وصيدا وبيروت وجبيل وغير ذلك ، ولم يبق من الطراز في أثناء ذلك سوى صور بين صيدا وعكا ، وهكذا كان الأمر على ما سبق بيانه . فتح هذا الطراز أولا ثم فتح البيت المقدس ، وكني بقيصر عن الأبرنس الذي قتله بيده لأنه كان مرؤوس الكفر وملكهم وغلاتهم في معاداة الإسلام ، والله أعلم. (١)

قال العماد : وكان فخر الكتاب أبو على الحسن بن على الجويني المقيم بمصر من أهل بغداد ينفذ إلى قصائده لأعرضها ، فرأيت أن أثبت له هذه القصيدة في الفتح ، وهي مشتملة على ذكر ملوك الإسلام وإهمالهم له تسعين عامًا حتى تجرد له سلطاننا فذكرها منها :

---

(١) السابق ٢/١٠٤.

جند السماء لهذا الملك أعوان ... من شك فيهم فهذا الفتح برهان

متى راى الناس ما نحكيه في زمن ... وقد مضت قبل أزمان وأزمان

هذا الفتوح فتوح الأنبياء وما ... له سوى الشكر بالأفعال أثمان

أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده ... صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا

كم من فحول ملوك غودروا وهم ... خوف الفرنجة ولدان ونسوان

استصرخت بملكشاه طرابلس ... فحام عنها وصمت منه آذان

هذا وكم ملك من بعده نظر الـ ... إسلام يطوي ويحوي وهو سكران

تسعون عاما بلاد الله تصرخ والـ ... إسلام انصاره صم وعميان

فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم ... بأمر من هو للمعوان معوان

للناصر اذخرت هذي الفتوح وما ... سمت لها همم الأملاك مذ كانوا

حباه ذو العرش بالنصر العزيز فقا ... ل الناس : داود هذا أم سليمان

في نصف شهر غدا للشرك مصطلما ... فطهرت منه اقطار وبلدان

فأين مسلمة عنها وإخوته ... بل أين والدهم بل أين مروان

وعد عما سواه فالفرنجة لم ... يبدهم من ملوك الأرض إنسان

لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد ... تنزلت فيه آيات وقرآن

يا قبح أوجه عباد الصليب وقد ... غدا ببرقعها شؤم وخذلان

خزنت عند إله العرش سائر ما ... ملكته وملوك الأرض خزان

فالله يبقيك للإسلام تحرسه ... من أن يضام ويلفي وهو حيران

وهذه سنة أكرم بها سنة ... فالكفر في سنة والنصر يقظان

يا جامعا كلمة الإيمان قامع من ... معبوده دون رب العرش صلبان

إذا طوى الله ديوان العباد فما ... يطوي لأجر صلاح الدين ديوان [1]

---

(١) السابق ٢/١٠٤-١٠٥.



وللشريف النسابة المصري محمد بن أسعد بن علي بن معمر الحلبي المعروف بالجواني نقيب الأشراف بالديار المصرية من قصيدة :

أترى مناما ما بعيني أبصر ... القدس يفتح والفرنجة تكسر
وقمامة قمت من الرجس الذي ... بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم ... ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي ... وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشام وطهر القدس الذي ... هو في القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد ... ماذا يقال له وماذا يذكر
يا يوسف الصديق أنت لفتحها ... فاروقها عمر الإمام الأطهر
ولأنت عثمان الشريعة بعده ... ولأنت في نصر النبوة حيدر
ملك غدا الإسلام من عجب به ... يختال والدنيا به تتبختر
نثر ونظم طعنه وضرابه ... فالرمح ينظم والمهند ينثر
حيث الرقاب خواضع حيث العيون ... خواشع حيث الجباه تعفر
غاراته جمع فإن خطبت له ... فيها السيوف فكل هام منبر
إذ لا ترى الأطلى بسنابك ... تحذي نعالا أو دماء تهدر
وصوافنا تختار أن تطأ الثرى ... فيصدها عنه طلى وسنور
تمشي على جثث العدا عرجا ولا ... عرج بها لكنها تتعثر[1]

* * *

(١) السابق ١٠٥/٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥٧ .

محاولة الصليبين استعادة القدس ثانية

ولم يزل البيت المقدس – شرفه الله تعالى – ملحوظًا بالعمارة والتحصين من عهد السلطان رحمه الله إلى سنة ست عشرة وستمائة ، فإنه خرب في المحرم منها بسبب خروج الفرنج منها – لعنهم الله – وانتشارهم في البلاد فحيف من استيلائهم عليه ، وفي السنة الأولى التي قبلها توفي الملك العادل أبو بكر ابن أيوب أخو السلطان ، وتشتت الناس بعد خرابه ورغبوا عن السكنى به ، ورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة ، منها:

أعينيّ لا ترقى من العبرات ... صلي في البكا الأصال بالبكرات
لعل سيول الدمع يطفئ فيضها ... توقد ما في القلب من جمرات
ويا قلب أسعر نار وجدك كلما ... خبت بادكار يبعث الحسرات
ويا فم بح بالشجو منك لعله ... يروح ما ألقى من الكربات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره ... على موطن الإخبات والصلوات
على منزل الأملاك والوحي والهدى ... على مشهد الأبدال والبدلات
على سلم المعراج والصخرة التي ... أنافت بما في الأرض من صخرات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها ... صلاة البرايا في اختلاف جهات
على خير معمور وأكرم عامر ... وأشرف مبنى لخير بناة
وما زال فيه للنبيين معبد ... يوالون في أرجائه السجدات
عفا المسجد الأقصى المبارك حوله الـ ... ـرفيع العماد العالي الشرفات
عفا بعد ما قد كان للخير موسما ... وللبر والإحسان والقربات
يوافي إليه كل أشعث قانت ... لمولاه بر دائم الخلوات



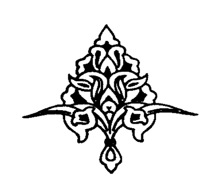
خلا من حنين التائبين وحزنهم فمن بين نواح وبين بكاة
لتبك على القدس البلاد بأسرها وتعلن بالأحزان والترحات
لتبك عليها مكة فهي أختها وتشكو الذي لاقت إلى عرفات
لتبك على ما حل بالقدس طيبة وتشرحه في أكرم الحجرات
لقد أشمتوا عكا وصور بهدمها ويا طالما غادتهما بشمات
لقد شتتوا عنها جماعة أهلها وكل اجتماع مؤذن بشتات
وقد هدموا مجد الصلاح بهدمها وقد كان مجدا باذخ الغرفات
وقد أخمدوا صوتا وصيتا أثاره لهم عظم ما والوه من الغزوات
أما علمت أبناء أيوب أنهم بمسعاته عدوا من السروات
وأن افتتاح القدس زهرة ملكهم وهل ثمر إلا من الزهرات
فمن لي بنواح ينحن على الذي شجاني بأصوات لهن شجاة
يرددن بيتا للخزاعي قاله يؤبن فيه خيرة الخيرات :
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

قلت : هذا البيت الخير لدعبل بن على الخزاعي في أول قصيدة يرثي بها أهل بيت النبي ﷺ ، وهذه هي السنة التي توفى فيها العادل قبل التي خرب فيها القدس هي السنة التي نزل فيها الفرنج – خذلهم الله – على ثغر دمياط – حرسه الله تعالى – وهي المرة الأولى في زماننا ، وأقاموا عليه إلى أن استولوا بعد أن جرى لهم نحو مما جرى لهم على عكا ، ثم أخذه المسلمون منهم وقتلوا وأسروا ثم إن الفرنج استولوا عليه صلحًا في سنة خمس وعشرين وستمائة وشرعوا في بناء طائفة منه ثم أخرجوا منه عنوة مرتين فإحدى المرتين الملك الناصر صلاح

الدين الأيوبي داود بن المعظم شرف الدين عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وقال حينئذ بعض شعراء العصر (هذا الشاعر هو الصاحب جمال الدين يحي بن مطروح رَحِمَهُ اللَّهُ) :

المسجد الأقصى له عادة	سارت فصارت مثلا سائرا
إذا غدا للكفر مستوطنا	أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا	وناصر طهره آخرا

ثم استولى الفرنج - أيضا - على طبرية وعسقلان ثم أخذتا منهم عنوة في شهور سنة خمس وأربعين وستمائة في دورة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين بن محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وقد استولوا أيضا على الشقيف وصفد والله يسهل عودهما إلى أهل الإسلام ويؤيد الدين الحنيف على ممر الأيام [١]



(١) كتاب الروضتين ٢/٢٠٥-٢٠٦.



فهرس المصادر والمراجع

- آفاق الرؤية الشعرية في شعر هاشم الرفاعي ، د./ صابر عبد الدايم ، مقال منشور في مجلة كلية اللغة العربية ، بالزقازيق ١٣١/٢١- ٢٠٤ طبع ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م .
- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، د./ عبد العزيز الاهواني ، طبع مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٦٢م .
- أثر الشعر في حياة العرب ، د./ حسن سليم ، مقال منشور في كلية اللغة العربية بالزقازيق ٢١٥/١٦- ٢٤٨ ، طبع سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٦م .
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، د./ صابر عبد الدايم ، طبع دار الشروق سنة ١٤٢٢هـ - سنة ٢٠٠٢م .
- الأدب الإسلامي ضرورة ، د./ أحمد محمد على ، طبع دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- الأدب في بلاد الشام ، د./ عمر موسى باشا ، طبع المكتبة العباسية بدمشق سنة ١٩٧٢ م .
- الأدب والنقد في تراث المحبي (ت ١١١١ هـ) دراسة تحليلية ، رسالة دكتوراه للباحث / صبري أبو حسين ، إشراف د/ محمود على السمان ، كلية اللغة العربية بإيتاى البارود ، جامعة الأزهر سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .
- أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني ، د./ جابر قميحة ، طبع مركز الإعلام العربي سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- أربعون سبباً في سقوط الأندلس ، د./ عبد الحليم عويس ، طبع دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .



- استعادة الماضي ، دراسات في شعر النهضة ، د./ جابر عصفور ، طبع الهيئة العامة سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) طبع مكتبة المعارف ببيروت ط٢ سنة ١٩٧٧م .
- بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ ، د./ عبد الفتاح أبو علية ، د./ عبدالحليم عويس ، طبع دار المريخ سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) ، طبع المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تعليق أ./ جمال محمود مصطفى ، دار الفجر للتراث بالقاهرة سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م
- تاريخ الطبري (٢٢٤- ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق أ./ محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بالقاهرة . د. ت.
- تاريخ القدس العربي القديم ، أ./ خالد عبد الحمن العك ، طبع دمشق سنة ١٩٦١ م .
- تاريخ مدينة القدس ، أ./ رفيق النتشة ، طبع عمان سنة ١٩٨٤ م .
- ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة ، د./ عبد الحليم عويس ، طبع دار الصحوة سنة ١٩٨٤ م .
- الحروب الصليبية وأثرها في الأدب في مصر والشام ، أ./ محمد سيد كيلاني ، طبع دار الكتاب العربي . د . ت .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق أ./ محمد أبو الفضل إبراهيم طبع عيسى الحلبي سنة ١٩٦٧ م .

- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام ، د./ أحمد أحمد بدوى ، طبع دار نهضة مصر ، د . ت .
- خريدة القصر وجريدة العصر ، للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) قسم الشام ، تحقيق د./ شكري فيصل ، طبع دمشق سنة ١٩٩٥ م .
- خطب الشيخ محمد الغزلي في شئون الدين والحياة ، طبع دار الاعتصام بالقاهرة ، د . ت .
- دور الأزهر في الدفاع عن القدس ، هدية مجلة الأزهر ، عدد رمضان سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ديوان ابن الخياط (ت ٥١٧ هـ) ، تحقيق أ./ خليل مردم بك ، طبع دار صادر بيروت لبنان سنة ١٤١٤ هـ .
- ديوان الأبيوردي (ت ٥٠٧) ، تحقيق / عمر الأسعد ، ط ٢ مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ديوان دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) ، تحقيق أ./ عبد الصاحب الدجيلي ، طبع دار الكتب اللبناني ، بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر العربي حتى سقوط غرناطة ، د / عبد الرحمن حسين محمد ، ط١ سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) طبع دار الآفاق الجديدة ، بيروت د . ت.
- شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ، د./ طلعت صبح السيد ، طبع سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٩ م .



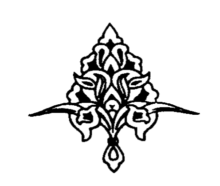
- شعر القدس في العصر الحديث ، د./ صبري أبو حسين ، مقال منشور في كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٢/٦٠٥ – ٦٧٤ طبع ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.
- الشعر المصري من الفتح الإسلامي إلى مطلع العصر الحديث ، د./ محمد أحمد سلامة ، دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٢ م .
- الشعر ونقده في التراث المجمعي خلال خمسين عاماً ، للباحث صبري فوزي أبو حسين ، رسالة ماجستير ، إشراف د./ السيد مرسي أبو ذكري ، كلية اللغة العربية بالمنوفية سنة ١٩٩٧ م .
- صدى بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ، د./ حسن سليم ، مقال منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ٢٢/ ٢٦٣ – ٣٠٨ طبع ٢٠٠٢ م .
- الطريق إلى بيت المقدس ، د./ جمال عبد الهادي ، طبع دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
- العامل الديني في الشعر المصري الحديث ، د./ سعد الدين الجيزاوي ، طبع المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٦٤ م .
- عصر الدول والإمارات (الشام) د./ شوقي ضيف ، طبع دار المعارف. د. ت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت سنة ١٩٨١م .
- فصول في الشعر ونقده ، د./ شوقي ضيف ، دار المعارف ط٣ سنة ١٩٨٨م.
- فضائل القدس لابن الجوزي (ت ٦٥٥ هـ) ، تحقيق د./ جبرائيل حيدر ، طبع دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة ١٩٨٠ م .

- فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية ، د./ عبد الحليم عويس ، طبع دار الصحوة ط١ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- فلسطين الثغر والرباط ، أ./ عبد الخلق حسن الشريف ، طبع ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- القدس في عمق التاريخ ، د./ زيد عبد المحسن الحسين ، مقال منشور في مجلة الفيصل ، عدد ٢٣٢ ، شوال ١٤١٦ هـ.
- القدس قضية كل مسلم ، د./ يوسف القرضاوي ، طبع مكتبة وهب بالقاهرة سنة ١٩٩٩٨ م .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، طبع دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٨٢م .
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية) لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ، طبع دار الجيل بيروت ، لبنان ، د . ت.
- ماذا خسر العلم بانحطاط المسلمين ، للعلامة أبي حسن الندوي طبع مكتبة الإيمان سنة ١٩٩٤ م .
- المدائح النبوية إبان المعارك الصليبية ، د./ محمد صقر ، مقال منشور في مجلة كلية بالزقازيق ، ٢١/ ٧١ – ٩٥ طبع سنة ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م .
- المسجد الأقصى في الكتاب والسنة ، د./ محمود حمدي زقزوق ، مقال منشور في مجلة منبر الإسلام ، إصدار وزارة الأوقاف المصرية عدد شوال سنة ١٤٢١هـ.

- معاودة قراءة تاريخ القدس ، د./أحمد صدقي الدجاني ، مقال منشور في جريدة عقيدتي عدد ٢٠٠١/٧/٣١م، ومجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) طبع دار المأمون ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان سنة ١٣٥٥هـ.
- المعجم المفصل في اللغة والأدب ، د./ميشال عاصي ، د./إميل يعقوب ، دار العلم للملايين بيروت لبنان د.ت
- المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة العربية ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية بالقاهرة ط٣ سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الدمشقي ، تحقيق جمال الدين الشيال ، طبع القاهرة د.ت.
- المفصل في تاريخ القدس أ./ عارف العارف ، ط١ سنة ١٩٦٩م.
- مقالات في الأدب الإسلامي ، د./ عمر عبد الرحمن الساريسي ، طبع دار الفرقان بالأردن طبع سنة ١٩٩٦م.
- مكانة القدس في الإسلام ، الشيخ عبد الحميد السايح ، طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٩م.
- مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين ، أ./ كامل العسلي ، طبع عمان سنة ١٩٨٨م.



- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، د/ محمود محمد الطناحي ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- النقد الأدبي الحديث ، د./ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر ، للطبع والنشر بالفجالة سنة ١٩٧٧م.
- هل الإسلام هو الحل ، د/ محمد عمارة ، طبع دار الشروق سنة ١٩٩٨م.
- الوثيقة والحياة ، أ./محمد محمود إبراهيم الشيمي ، مقال منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ٢٠/٨١٨-٨٢٧ ، طبع سنة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- الوقت في حياة المسلم ، د/ يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبه بالقاهرة ، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.





مُحتويات الكتاب





مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفون/فاكس : (٢٠٢) ٥٤٠٢٥٩٨